# منازل

لكل يا منازل في القلوب منازل

ثقافية أدبية مستقلة نصف شهرية

العدد / 5 / 1 آب 2013

www.facebook.com/manazel

السعر (50) ليرة سورية


في هذا العدد


* اختبار المواطنة..... 8
* حقوق الإنسان في سورية..... 11
* الاستبداد هو الكفر..... 16


## 5 الاعيوج ذاكرة الموت والنار ـ الحلقة الاولى

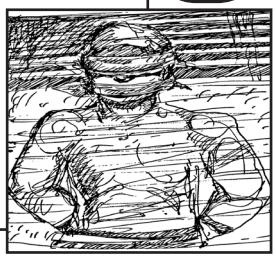

جغرافية الألم السّوري متشابهةٌ، بل هي واحدةٌ على اختلافِ جغرافية المكان، فلا يوجدُ فارقٌ عند الجزّار السفّاح بين السّهل والجبل, وآلةُ القتل واحدة، هي نفسها تلك التي تفتكُ بابنِ السّاحل وابن الضفاف وساكني البوادي

## 6 يوسف لم يغادر الجب

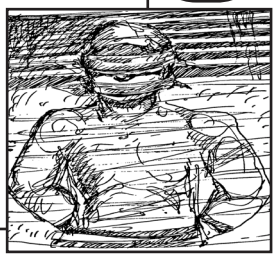

ربَّما كانَتْ أطيافُ يوسُفَ النبيِّ متعلّقةً ـ بالنّسبة ليوسف "راعي الأغنام"ـ بمجسم قزّم النبي في مسلسل رأى بعض حلقاته على عجلٍ في إحدى أمسياتِ الصّيفِ الّذي صارَ بعيداً بعدَ أنْ رماه الجلّادون في الجُبِّ

## 12 جسد المرأة ساحة حرب

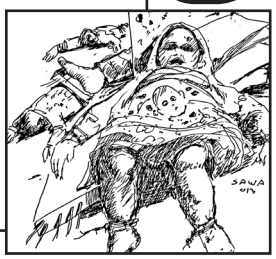

يبدو أنَّ مَقولةَ ابنِ عربي "المكانُ الّذي لا يؤنّث لا يعول عليهِ، تنسحبُ على ميادين التّحرير العربية. وهذه الحقيقةُ تعرفُها السّلطةُ بأكثرَ ممّا يعرفُها الثوّار، لذا فقدْ جعلت من جسدِ المرأةِ ساحةً لحربِها من أجلِ البقاء

---[ 2 ]---

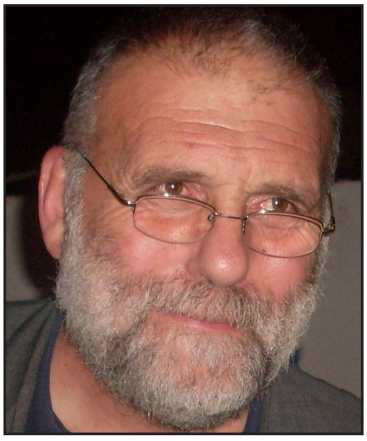

أطلق الأب باولو دالوليو مبادرة عبر وسائل الاتصال لصيام شهر رمضان المبارك على نية توحيد المسلمين في سورية حتى يتحقق النصر لثورة الحرية والكرامة، وإسقاط نظام الطاغية في دمشق.. الأب باولو في زيارته إلى الرقة كان سعيداً بتحريرها، لكنه شديد القلق على الثورة السورية، ويقول: وحدة الثوار السبيل الوحيد لتحرير سورية.. واستقرارها يؤدي إلى استقرار العالم..

يُعتبر الأب باولو رمزاً من رموز الثورة السورية، يعيش وجعها يوماً بيوم، يتحسس آلام المتعبين، ويدعو بألم وحرقة أن ينصر الله ثورة سورية.. ويرفع العدوان عن المظلومين والوقوف إلى جانب الشعب السوري..

## منازل الدنيا

### للفنادق أم للخنادق..!

يوسف دعيس

تتحدّث أوساطِ المعارضة السوريّة عن كارثة محدقة بالشّعب السوريّ، بدءاً بالبيئة والصحة والاحتياجات الغذائية والدوائية والإنسانية، واستمرار النزوح الداخلي والخارجي، وتشير الأرقام إلى عدد يتجاوز خمسة ملايين سوري طالتهم الكارثة، والحديث مستمر عن شراء ولاءات سياسية من خلال ملفّي الإغاثة والتمويل.

المعارضة السّورية تكثّف جهودها في وضع برنامج زمني لزيارات متواصلة إلى الدّول المانحة، خصوصاً دول الخليج العربي لزيادة الدّعم المالي كي تتمكّن من إغاثة السّوريين، وتخفيف وطأة الكارثة المستمرّة، والّتي من المتوقّع أن تلقي بظلالها على كلّ السوريين.

أريد أنْ أسجّل إعجابي الشّديد بالمعارضة السورية، ممثّلةً بالائتلاف الوطني، التي استطاعت تمثّل الكارثة التي ألمّت بالسّوريين، واشتغالها بعلمية فيما يخصّ ملفّ الإغاثة، كما فعلت بملفّ التسليح، فقد استطاعت بامتياز الحصول على سترات واقية ومناظير ليلية وأجهزة اتصالات متطورة في باب تسليح المعارضة، وأتساءل هل مسألة الإعجاب كافية في ظل تحويل مسار الثورة السورية من ثورة حرية وكرامة إلى ثورة خبز؟! وهل يظلّ حديثها متواصلا حول الخنادق، واجترار مقولات مؤثرة حول القتل والتّنكيل، والتّنديد بالمجازر المستمرّة، التي يندى لها جبينُ البشريّة؟.

أطفال ونساء يموتون تحت آلة القصف العنيفة، والنظام السوري يعيدُ إلى الأذهان صورةَ الإسرائيلي وهو يقصف لبنان وقطاع غزة، النظام يردُّ على إسرائيل بقصف المدنيين السوريين، الجيش السّوري مدعوما بميليشيا حزب اللات يحتلّ القصير، ويصّعد من عملياته العسكرية في ريف حلبَ الشمالي، وريف دمشق، ويحاصر حمص القديمة، ومازالت المعارضة الهزيلة والمريضة تحذّرُ من كارثة محتملة ووقوع مجزرة في حمص، لكنّها مازالت تؤكّد أنَّ الحديث للخنادق وليس للفنادق، وأنّها استطاعت دفعَ المجتمع الدّولي للتّنديد والشجب بممارساتِ النّظام، وأنَّ أصدقاءَ الشعب السوري توصّلوا أخيراً إلى إدانة استخدام النظام للأسلحة الكيماوية ضد المدنيين، واعتبروه خطّاً أحمرَ. وكأنَّ القتل اليومي الّذي يتعرّض له السوريون لا يتساوى مع آلة القتل الكيماوية.

طوبى للمعارضة التي غاب عنها أنَّ الشعب السوري يأنف المساعدة، ولو كانت من أخيه.. طوبى لها وهي ترى مسارَ الثورة يحيدُ عن طريقه الرئيس، ويغرق في الخلافات الجانبية، وفي إحياء فكرة الولاءات التي لا تصنع ثورة.. ومرحى لها وهي تصفق لتغوّل تجار الحروب بدماء السوريين، وتهلل لاستنزاف الثروات السورية، كما حصل لمخزون القمح، وسرقة النّفط في مشاهدَ يوميةٍ سيتذكرها السّوريون لسنوات طويلة.

ليسَ غريباً أن نرى أعضاء المعارضة، وهم يتصدّرون صفحات الجرائد، ويزيّنون الفضائيات لإبراز أناقتهم ووسامتهم وقدرتهم الفائقة في فنّ الحديث، وإلقاء النكات الفجّة، وتوزيع الابتسامات، ولا بأسَ من الدموع وهم يستعرضون مشاهد القتل والدمار التي تحيق بأهلهم.

# الأب باولو من الرقة

## الحرية خيار الشعب السوري

أطلق الأب باولو دالوليو مبادرة عبر وسائل الاتصال لصيام شهر رمضان المبارك على نية توحيد المسلمين في سورية حتى يتحقق النصر لثورة الحرية والكرامة، وإسقاط نظام الطاغية في دمشق.. الأب باولو في زيارته إلى الرقة كان سعيداً بتحريرها، لكنه شديد القلق على الثورة السورية، ويقول: وحدة الثوار السبيل الوحيد لتحرير سورية.. واستقرارها يؤدي إلى استقرار العالم..

يُعتبر الأب باولو رمزاً من رموز الثورة السورية، يعيش وجعها يوماً بيوم، يتحسس آلام المتعبين، ويدعو بألم وحرقة أن ينصر الله ثورة سورية.. ويرفع العدوان عن المظلومين والوقوف إلى جانب الشعب السوري..

وللتعرف على أهداف زيارته لأول محافظة محررة، وتوقعاته حول أوضاع الحراك السلمي والمسلح في الثورة السورية، التقينا به في الرقة وأجرينا معه الحوار التالي..

**هذه زيارتك الثانية إلى الرقة.. ما هي أهداف الزيارة الأولى، وهل تأتي الثانية في إطار تمكين الثورة السورية؟ وكيف وجدت الرقة المحررة؟!**

– الزيارة الأولى إلى الرقة كانت من باب المصادفة، كنت أزور بقعاً من سورية الخاضعة للنظام الأسدي، وجميعها متشابهة، كنت أزور الأقلية المسيحية الذين قدموا إلى الرقة من كل أماكن سورية، لم أزر المجتمع في الرقة، اكتفيت حينذاك بزيارة بعض الأشخاص المسيحيين من منطق ديني طائفي إن صح التعبير لذلك ليس عندي ذكريات متميزة عن الرقة.

اليوم أتيت إلى أول محافظة حرّة في سورية الثورة، جئت بقلق ورجاء كبير وبعرفان وشكر للثورة، وبخوف عليها، رأيت مدينة قد كبرت، والناس يعيشون الحرية بتفاصيلها، الحرية الإعلامية، وحرية التعبير عن الرأي وصراحة في الخطاب وهذه نتائج الأمور التي استشهد من أجلها أبناؤنا.

المدينة يرفرف على ساريتها العلم الأسود معبراً عن المشروع الإسلامي، وأنا لست ضده إذا كان خياراً للشعب السوري، شريطة ألّا يكون إقصائياً ومحتكراً للسلطة ولا يترك لغيره أي مجال. عندي طموح أن أخدم التواصل بين الثورة الديمقراطية والثورة الإسلامية لتكون ثورة موحدة ضد الظلم.

**ما هو موقع الأب باولو في الثورة السورية، وكيف يقرأ تطورات الثورة السورية؟**

– إذا استعرضت مواقفي منذ السنوات الماضية أرى نفسي قد دعوت إلى توطيد وتحقيق وإظهار نضج المجتمع المدني كمرحلة لابد منها للحصول على الديمقراطية في سورية، وكنت ناشطاً في النمو التشاركي، ومكافحة التصحر والتنمية البشرية تحت غطاء الدولة. كنت أكتب كل سنة رسالة إلى الأسد أدعوه إلى الإصلاح وأن يقوده بنفسه، وأن يفتح للمجتمع السوري بشكل حقيقي مجالاً للحرية والتعددية السياسية، لكن عندما دق ناقوس التاريخ دقته الحاسمة منذ الشهر الأول من عام 2011 كنت من الذين يرون حركة الثورات العربية فرصة ذهبية للتغيير في سورية بالتوازي مع القلق الشديد الذي عبرت عنه حينذاك بأن النسيج الاجتماعي الفئوي الطائفي السوري، وتسخير القوات المسلحة الوطنية للتحكم الفئوي، واعتياد النظام السوري على حلّ الإشكاليات بتعذيب أجساد المعارضين سوف يؤدي بهم لإنكار الحراك التاريخي، ومحاولة أخرى لتوطيد ظلمهم بالأساليب التقليدية.

أنا أؤمن بالثورة السلمية، بيدَ أنّ النظام مستعد للإبادة الجماعية، ويمتلك الوسائل لذلك، وعدم التضامن العالمي مع الديمقراطية السورية يسبب خطر إبادة جماعية للشعب السوري. في الأشهر الأولى للثورة كنت أزور رجال الأمن وأحاول إقناعهم أن مصلحتهم ومصلحة الوطن بفتح المجال لحرية الصحافة والرأي. الخطوة الأولى للنظام في هذا البلد يجب أن تكون في تحمّل حرية الصحافة والفكر والرأي، هذا إنقاذ لكم جميعاً، ويجعلكم قادرين على قيادة التحول في البلد نحو الديمقراطية، والمحافظة على الامتيازات التي حصلتم عليها، فالأمور تنصلح قليلاً قليلاً، ولا يوجد مجال آخر للإصلاح، المحاولة الأخيرة كانت في أيلول 2011 صُمنا ثمانية أيام على نية المصالحة الوطنية وإيقاف العنف، والمطالبة بشرط أموت لأجله، هو حرية الرأي والصحافة، وهذا لم يتوفر، والباقي لا قيمة له.

في تموز 2011 كتبت مع مجموعة من الأصدقاء مقالاً بعنوان: "الديمقراطية التوافقية لأجل الوحدة الوطنية"، وهي مقالة جوهرية ظهرت فعاليتها بعد سنتين، بعدها أراد النظام طردي، وتكلمت صراحة عن ضرورة حماية المجتمع العالمي للديمقراطيين السوريين لاسيما حرمة المشافي والحرم الجامعي، وكان عمّار الساعاتي (رئيس اتحاد الطلبة) قد ضرب الطلاب في جامعة القلمون، كما أننا سمعنا بضرب الناس في المشافي، ونقل الجرحى من هناك إلى أماكن مجهولة، وهنا إذا كان المجتمع العالمي يحترم نفسه يجب عليه التدخل لحماية الحراك السلمي، لا يمكن أن أنسى الصورة، صورة الجرحى والقتلى على يد الشبيحة. كنت ولم أزل ضد التدخل العسكري الغربي على الطريقة الليبية، لأن الشحن العربي من شكوك وشعور بالتآمر

والكراهية التي تأصلّت منذ خمسين عاماً من الصراع العربي الإسرائيلي والعربي الغربي، الذي يقرن بالاحتلال، ويسبب رد فعل عنيف، لكن التضامن الديمقراطي العالمي مع ديمقراطيّ سورية له نتائج أكثر فعالية على الأرض مع الاعتراف بحق الشعب السوري بالدفاع عن نفسه أمام القمع والقوة المفرطة، إما بالتهجير الجماعي، أو بالدفاع عن النفس.

في 25/1/2011 جواباً عن سؤال وماذا عن سورية؟ قلت للسفير الفرنسي في دمشق: الدبلوماسية العالمية إن لم توفر الشروط للتحول الديمقراطي في سورية سيكون هناك /200/ ألف قتيل، وفقدان دائم للوحدة الوطنية. وفي حزيران من العام 2011 كتبت لرئاسة حكومة الفاتيكان، وقلت لهم الثورة السورية ثورة حقيقية وهي مقرونة منذ الآن بحرب طائفية، الحرب الأهلية بدأت، وإن لم يبادر الفاتيكان إلى تحريك ودفع وتشجيع القوى الديمقراطية العالمية لمبادرات تغيير الوضع السوري بشكل مرضٍ وسلمي، منعاً من وصول مسيحيي سورية إلى مصير مشابه لمسيحيي العراق، ولا تتباكوا فيما بعد، وسوف يجد المسيحيون أنفسهم ممزقين في وسط النزاع الأهلي، وبطبيعة الحال سيختار أكثرهم الطرف الخاسر، وبعضهم سيجد نفسه مضطراً للهجرة لفقدان الأمن نتيجة الحرب الأهلية التي ستقود الكل إلى حرب طائفية.

كتبت مرة ثانية وأخيرة لرئاسة حكومة الفاتيكان في كانون الأول من العام 2011 وقلت لهم إن لم تفعلوا الآن شيئاً فلن تفعلوا شيئاً أبداً، وستجدوا مسيحيي سورية ضائعين، ووضعت بعض المقترحات التي من خلالها يمكن إنقاذ الوضع، وبعدها دخلنا في معركة حمص حيث فقدنا مئة مسيحي، النسيج القديم للمجتمع منذ أكثر من مئة عام ذهب أدراج الرياح بكل بساطة في كل أصقاع الأرض.

طُردت من سورية في حزيران 2012 وقتها قلت للأمين العام للأمم المتحدة من خلال رسالتي التي حملها كوفي عنان: لا تلعبوا بالألفاظ، فما معنى أن تقولوا أن يد القاعدة وراء الانفجارات، علماً أن النظام سخّر التشدد واستخدمه بشكل منتظم، وبخبرة طويلة. وكان بان كي مون قد قال إن يد القاعدة وراء الانفجارات. لم أقبل من الأمم المتحدة الاستسلام لكذب النظام وهذه ليست مسؤولية. الثورة السورية اليوم في حالة استنقاع لأن الديمقراطيين السلميين هلكوا في المعتقلات، وتعبوا من استنفاد الطاقات والتشاؤم، والقوات المسلحة الثورية المرتبطة بالفكر ضعيفة بسبب الخيانة الغربية كما هو معروف، وفتح المجال لتقوية التنظيمات الإسلامية على تدرج تشددها المذهبي مما قدّم على طبق من فضة الانتماء المعلن لجزء منه لتنظيم القاعدة وارتباطه به.

الواقع أن إعلان بعض المنظمات المسلحة انتماءها للقاعدة أعطى الحجة الكبرى للمجتمع الدولي للانسحاب من موقف تضامني مع الشعب السوري الثائر، زِد على ذلك بين المفكرين والساسة الأمريكان والإسرائيليين ما يعبر عنه البعض بصراحة ويطبقه البعض الآخر بخبث، وهي تطبيق مقولة: إنَّ تقاتل أعدائنا هو نصر لنا. لكل ذلك أعلنت نيّة صومي لشهر رمضان المبارك هذا العام من أجل المصالحة السنية الشيعية حتى نستطيع محاربة النظم الديكتاتورية.

## كيف تنظر إلى دور إيران وحزب الله وتدخلهما في القضية السورية؟

– عدد كبير من إخوتنا الشيعة لا يوافقونهم الرأي، ومنهم في إيران، ومنهم شيرين عبادي التي أعلنت دعمها للثورة السورية، ورفضها للتقاتل الطائفي، والتدخل الإيراني وحزب الله في سورية. القومية الإيرانية تستفيد وتستخدم الانتماء الشيعي، وكل انتماء "أقلوي" لمصالحها الجيو إستراتيجية إلى جانب ركوب عجلة التشدد الإسلامي أينما وجدت، وهي تمشي على ثلاثة محاور، تحريك التشدد الإسلامي ضد الغرب أينما وجد، التضامن والدعم مع كل الحركات "الأقلوية"، وخصوصاً الشيعية في العالم الإسلامي، وهي تأخذ الحصة الأكبر، المصلحة القومية الفارسية التي أدت في ثمانينيات القرن العشرين لقبول المساعدة الإسرائيلية ضد العراق.

أنا أؤمن بالتركيب التناقضي للمجتمعات، فالمجتمعات لا ترد الفعل إلاّ من خلال تناقضاتها، أما حزب الله فهو كارثة شيعية، وقبل أن يكون ضرراً علينا، يشكل ضرراً لشعبه، وهو مؤذٍ لمصلحته، ومشوه لمذهبه، ولن يطول به الأمر لأنه عندما ينحصر في بقعته الجغرافية الضيقة سوف ينتهي.

الدولة الإسرائيلية حسب رأيي تعمل للاستفادة من الغلو الإنكاري للحقيقة التاريخية اليهودية والحركة الصهيونية، مثلاً إنكار المحرقة ووجود اليهود في فلسطين وإنكار الأهداف الصهيونية

الدولة الإسرائيلية حسب رأيي تعمل للاستفادة من الغلو الإنكاري للحقيقة التاريخية اليهودية والحركة الصهيونية، مثلاً إنكار المحرقة ووجود اليهود في فلسطين وإنكار الأهداف الصهيونية، وبعض الدوافع الاستيطانية، لذلك لم يأتِ كل الصهاينة إلى فلسطين لغاية استعمارية صرفة.

الغلو الإسلامي المتشدد والقومي العربي المتشدد والشيعي المتشدد في إنكار ورفض كلّي للآخر اليهودي بكل أبعاده دون تمييز بين المعتدل والمتطرف، وهذا أكبر دعم للتشدد الاستعماري الصهيوني، ويبرر لهم وصم العرب بالتطرف النازي بمختلف مبادئهم القومية، وهم امتداد للحزب النازي. هذا الغلو يخدم إسرائيل، لذلك اصطفت مع النظام السوري وحزب الله وإيران بشكل مباشر. إسرائيل تتابع هكذا، ونحن في كل يوم نفقد الدعم الأوربي، وإلى الآن لم نستطع كسب الدعم الأمريكي، والبقية من العالم يقف مع النظام السوري، البرازيل والهند وجنوب أفريقيا والباكستان، لماذا لم نقتنع هذه الدول؟ إخوتنا العرب الذين يلعبون على الحبلين، الدول العربية الخائفة من المتشددين، حتى مصر "الإخوانية" كان دعمها فاتراً، وحصل في الأيام الأخيرة لتبييض وجهها، أما مصر الانقلاب العسكري فقد فترت نهائياً، وفي تونس العلمانيون مع النظام السوري بشكل واضح.

**كيف تنظر إلى علاقة النظام السوري بالأقليات، ومن يحمي الآخر؟**

– في المناطق السنية من العراق، لم يستطع المسيحي البقاء هناك بسبب العنف الطائفي المباشر وغير المباشر. للأسف الشديد الشكل الفئوي المتشدد أخذ المطالبة بالحق في المحيط السني. المقاومة في المفهوم السني هي فرض كفاية، وليست فرض عين، وبهذه الطريقة فوّض عامة الناس المتشددين بالحصول على حقوق الجماعة، وهذا جرّها إلى التطرف، مما يجعل المتطرفون يمارسون العنف المذهبي على بقية الفئات الاجتماعية، وهذا جعل الوضع الأمني للمسيحيين في العراق يُرثى له، تم استهدافهم مباشرة، ولم يتبقَ منهم إلاّ القليل.. نحن نتمنى أن نعود إلى الوئام الذي كنا عليه، وعشناه معاً مدة أربعة عشر قرناً.

الواقع أن جاري المسلم يأسف لما حصل لي، فهو لا يستطيع حمايتي لأنه لا يستطيع حماية نفسه، فلا حول له ولا قوة، النظام فعلياً يحمي الأقليات ويطالبهم بالوقوف معه، ويقول لهم: إذا ذهبت فستذهبون معي والبديل سيكون أسوأ مني! وفي الحقيقة النظام يرشّح نفسه محامياً للأقليات، ويعقد تحالفاً معهم تحت هذا الشعار، ويطالبهم بالدفاع عنه أمام الرأي العام العالمي، المسيحيون لهم دور رئيس في حماية النظام عند الرأي العام العالمي، وفي تصديق حججه وأكاذيبه.

**للأديان السماوية دور كبير في تطور البشرية والحضارة الإنسانية. هل من الممكن التخلص من الأبعاد الطائفية التي تعرقل هذا الدور الكبير؟**

– هذا يتطلب أن ننتقل من مفهوم الهوية الصدَامية أحادية اللون إلى الهوية الحوارية المتعددة الألوان، الإنسان ليس له مفهوم الهويات القاتلة، اليوم ننقد مفهوم هوية أنني مسلم والبقية ليس له علاقة.

أنا مواطن قبل كل شيء، مفهوم الهوية التعددية الحوارية هو الذي يخولنا أن نخلق الوئام الاجتماعي ونتخلص من التصادم المزمن، وبمعنى دقيق أنا أنتمي إلى دوائر متعددة في الحياة (أنا مسلم، أنا أديب، أنا رياضي، أنا مثقف، أنا أحب المزاح)، وفي كل دائرة أتضامن مع منتسبي هذه الحالة المتضامنين أصلاً معي.

**كيف تقرأ الدور الكردي في حراك الثورة السورية؟**

– الأكراد كانوا شهوداً أظهروا جانباً غير واع لدى الجماهير العربية. هم يعكسون كما المرآة تعكس الصورة، الجانب الإثني لصورة العربي التي تعكس شدة الظلم القومي العربي عليهم إبان حكم البعث.

القومية العربية الفاشية المنغلقة والمتطرفة هي التي شوهت العروبة الحقيقية بجذورها الإسلامية، والتي تعتبر خيمة واسعة مفتوحة الرواق وتتسع لانتماءات إثنية متعددة، لأنها تماماً لا تطالب بالتخلي عن الهوية عندما تدعو إلى هذه التشاركية. الحضارة العربية الكبرى كانت تشاركية في اللغات والانتماءات، وكان يترعرع فيها الكردي والأرمني والمسيحي واليهودي والبربري والقبطي والآشوري والتركي، ولم تقصِ أحداً.

ليس بمقدورنا انتظار الكرد تصديقنا في إطار المفهوم الجديد القديم لمفهوم العروبة، ولا نمثل استمراراً للمفهوم البعثي والناصري الضيق والاحتكاري للعروبة.

**الرقة أول محافظة محررة في سورية، ما هي رسالتك للمعارضة والشعب السوري؟**

– نحن هنا نتمنى أن تكون الرقة العاصمة الأولى المؤقتة للثورة السورية، وأن تدار المناطق المحررة من هذا المكان بانتظار فتح دمشق، لكن عندنا مهمة في الرقة علينا إيجاد حل سلمي، توافقي وإن كان ديناميكياً بين المجتمع المدني "الرقاوي" بكل ألوانه والقوات المسلحة الإسلامية الجهادية، وإن لم نجد مخرجاً لهذا التناقض سوف تُقبر الثورة في الرقة.

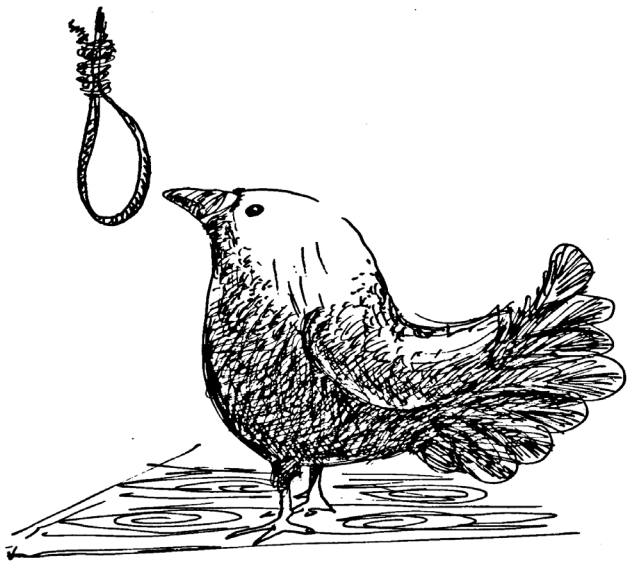

الأب باولو دالوليو في سطور:

من مواليد روما 1954 من أب مقاوم للنازية ومن النشطاء البارزين في الحزب الديمقراطي المسيحي وحركة النقابات الفلاحية في إيطاليا.

انتمى الأب باولو في شبابه إلى الحزب الاشتراكي، وإلى لاهوت التحرير (الحركات المسيحية الداعمة لحركة الكادحين في العالم)، انضم إلى الرهبنة اليسوعية عام 1975 وبحالة روحية اختار أن يخدم الوئام المسيحي الإسلامي، وكرّس حياته لهذا التحابب انطلاقاً من هذه القناعة البسيطة: "لا يحقق أحدنا رسالته في العالم دون مساعدة جاره".

جاء إلى لبنان في عام 1977 لدراسة اللغة العربية ثم تابع دراستها في دمشق، إضافة لحضوره دروس الشريعة الإسلامية في كلية الشريعة، حصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية والحضارة الإسلامية من إيطاليا، ثم درس الفلسفة والعلوم الدينية المسيحية في الجامعة الحبرية في روما، وحصل على شهادة الدكتوراه في علم الحوار بين الأديان بأطروحة بعنوان: "مفهوم الرجاء في الدين الإسلامي".

منذ عام 1982 بدأ الاهتمام بدير مار موسى الحبشي في منطقة القلمون، وترميمه وجعله مركزاً لتحقيق أفكار الحوار بين الأديان، وظلّ قائماً على الدير إلى أن تم طرده وإبعاده من سورية.

## منازل ترصد أحداث الأعيوج في ثلاث حلقات

# الأعيوج ذاكرة الموت والنار

(1)

أحمد رشاد

جغرافية الألم السّوري متشابهةٌ، بل هي واحدةٌ على اختلاف جغرافية المكان، فلا يوجدُ فارقٌ عند الجزّار السفّاح بين السّهل والجبل, وآلةُ القتل واحدة، هي نفسها تلك التي تفتكُ بابنِ السّاحل وابن الضفاف وساكني البوادي, فما يحدثُ في غربِ البلادِ أو شرقها يُعادُ في جنوبها وشمالها، وما جرى في قرية البيضا في ريف بانياس نفسه تزامن وتشابه مع ما حدثَ في قرية الأعيوج في ريف الرّقة.

شاهدَ العالمُ كلُّه ما حدثَ في البيضا، غيرَ أنَّ ما حدث في الأعيوج بقيَ بعيداً ونسياً منسياً كبئرها الوحيد ومياهه المُرّة، ولعلَّ اعوجاجَ البئرِ هو الّذي منحَ القريةَ هذه الاسم.

الأعيوج قريةٌ نسيَها الحاضرُ والتّاريخُ، ولربّما لا مكانَ لها في المستقبل الّذي لم تتضحْ معالمُه بعدُ. تستلقي هذه القريةُ فوقَ تلّةٍ صغيرة على بعد 40 كم شمالَ غرب مدينة الرّقة، عددُ منازلها حوالي ستينَ منزلاً، ويبلغُ عددُ سكّانها حوالي 2500 نسمة مع التجمّعات الصّغيرة المتناثرة فوقَ أراضيها الزّراعية.

لم يكُنْ أحدٌ ليعرفَ هذه القريةَ من قبلُ سوى أهلِها وقليلٌ من أبناء هذه المحافظة والباعة الجوّالون، بل هي غيرُ موجودةٍ على أيٍّ من الخرائطِ السورية وحتى المحليّة.

يوم الثلاثاء 16/4/2013 كانَ يوماً مختلفاً عن باقي أيّامِ هذا المكان المَنسيّ، توقفتْ دراجةٌ ناريّةٌ يقودُها رجلٌ غريبٌ جاءَ من جهة الشّمال، توقّف عند مفترقِ طرقٍ ليسألَ سائقَ سيارةِ أجرة من أهل القرية عن الطّريق إلى الرّقة، تابعَ سائقُ الدراجة النارية طريقه نحوَ القرية، مرَّ بشارعها الوحيد، دارَ حولها، ثم عادَ من حيثُ أتى هنالك خلف التلال.

حين رفعَ المؤذنُ أذانَ صلاة الظّهرِ اختلطَ صوتُه الشّجي بهدير دباباتٍ قادمةٍ من خلفِ التّلال الشّماليّة للقرية، نفسها التّلال التي اختفى خلفَها سائقُ الدّراجة الناريّة, مدّتْ تلك الدباباتُ أعناقَها المطوّقةَ بالنّار معلنةً زحفَ الموتِ نحوَ القريةِ الوادعة.

ارتفعَ الصُّراخُ وتعالى الصّياح "جاكم الجيش"، سرتْ هذه العبارةُ في أزقّةِ القريةِ الضيّقةِ كالبرق، حملتِ النّسوةُ صغارهنّ على عجلٍ، تزاحمتِ الأكتافُ عند الأبواب، تراكمَ الأطفالُ والمسنون أكداساً من اللّحم المرتجفِ في شاحناتٍ صغيرةٍ، وعلى ظهور دراجاتٍ آليةٍ أكلت حجارةُ القريةِ عجلاتِها. خرجَ بعضهم يركضُ هائماً على وجهه، وبعضهم أطلقَ ساقيه للرّيح. ماذا سيفعلُ الرجال والشباب؟ هل يتصدّون لرتلٍ عسكريٍّ مؤلّفٍ من تسع عرباتٍ مدرّعة بالإضافة إلى خمسِ سيّاراتٍ شاحنة متوسّطة تحملُ جنوداً مدجّجين بكلِّ صنوفِ الأسلحة لا يعرفون الرّحمة؟ هل تستطيعُ بنادقُ الصّيد أنْ تمنعَ الموتَ القادمَ من الشّمال؟ كان القرارُ على عجل. لنخرجْ منها آمنين، وخرجَ الجميعُ إلّا رجلاً مُسِنّاً تجاوزَ السّبعين من عمره وإمامَ المسجدِ الّذي أصرَّ على عدم تركِ المسجد وحيداً.

تابعَ الرّتلُ تقدُّمَه صاخباً نحوَ القرية التي غدتْ خاليةً إلا من جدرانها الطينيّة الّتي يلفُّها الصّمتُ والخوفُ، غيرَ أنَّ دبابتين توجهتا نحوَ الجنوب الشّرقي سالكةً طريقاً ترابيةً يصلُ القريةَ بتجمُّعٍ سكّاني آخرَ يمتدُّ على طرفَي القناةِ التي تمرُّ من شرق القريةِ, يُعرَف هذا التجمّعُ باسم "العريضة أو العرايض" سابقاً قبلَ أنْ تمرَّ القناةُ من هنا ويُقام عليها جسرٌ يصلُ القريةَ المنسيّةَ بطريقها إلى الرّقة والشرق السّاحر بالنسبة لساكنيها المترعين بالحلم والغبار ورائحة البادية.

عند الجسر الّذي تمَّ تفخيخه من قبل عناصر الجيش الحرّ كان للموت موعدٌ وللشجاعة مكان، تقتربُ الدبابتان أكثرَ فأكثرَ، عبور الدبابات للجسر يعني المسير حتى مدينة الرقة.

تجمّعَ بعضُ أبناء القرية عند الضفّة الشرقيّة للقناة والأعيوج تقع على بعد 2كم عن الضفة الغربية للقناة.

تنشبُ معركةٌ غير متكافئة, يسقطُ أربعةُ شهداء، كان ياسين أحدهم وهو من أبناء القرية.

ياسين شابٌّ في العشرينيات من عمره لم يحملِ السلاحَ مطلقاً, ساقه قدرُه فجاءَ من لبنانَ حيث يعمل هناك. ما الذي جاء بك يا ياسين؟ إنّها زوجته التي أنجبت قبل ثلاثة أيام بعد انتظار لأكثرَ من ثلاث سنوات.

جاء ياسين ليرى المولودَ الجديد للمرّة الأولى والأخيرة. كان نصيبُ ياسين من جيش وطنه قذيفةَ دبّابةٍ فصلت رأسَه عن جسده. حين طارَ رأسُ الجسد، أعطبَ أحدُ مقاتلي الجيشِ الحرّ تلك الدبّابةَ الّتي لا تُميّز بين مُقبلٍ أو مُدبر، دبابة تدكُّ البيوت على رؤوس ساكنيها بدلاً من أن تدفعَ الموت عنهم. عادتِ الدبابتان لتلحقا ببقيّةِ رتلِ الموتِ الذي تمركز في القرية، ونصبَ قنّاصيه على خزّان المياه وفوق سطح المسجد والمنازل التي تقع على أطراف القرية.

رجعَ أحدُ الشبابِ يُلقّب بالزّير إلى القرية يريد أنْ يأخذَ خرافَه، قاده أحد الجنود إلى الضّابط المسؤول وهو برتبة عقيد، توسّلَ كثيراً كي ينجوَ بنفسه وبخرافه، نالَ ما يطلب ولكن بشرطِ أن يعود بأهله ويُقنعَ أهلَ القرية بالعودة إلى القرية. ساق الزّيرُ خرافه برفقة أحدِ الجنودِ الّذي سمع حديثه مع العقيد. اقتربَ الجنديُّ من الزّير هامساً: "إذا رجعَ أحدٌ إلى القرية سيُقتلُ وستكونون دروعاً بشريةً"، قالها الجنديُّ بلهجةٍ فراتيةٍ مكسورة.

توزّعَ أهلُ القريةِ النازحون في القرى المجاورة وفي بيوت طينيّةٍ صغيرةٍ مهجورةٍ منذ عشرات السنيين، لا ماء لا كهرباء لا طعام ولا أمان أو أمن, الخوفُ والذعر يلفان الجميع، وجثامين الشهداء التي سُحبت من أرض المعركة وصلت إلى مدينة الرقة التي راح خبر تقدم الرتلِ يُثيرُ الرعب في مفاصلها وتفاصيلها. أربعةُ مقاتلين من الجيشِ الحرّ كانوا في عداد المفقودين، اكتُشفت جثثهم بعد أربعة أيّام في الوادي الذي يمرُّ من شمال القرية متّجهاً نحو الشرق من تحت القناة العملاقة عبر منفذ يُطلق عليه اسم الكوداك، انتقل جثمان ياسين من شرق القناة بعد أنْ قطعَ مسافةً طويلةً ليصلَ إلى قريةِ المَرنديّة التي تقعُ غربَ الأعيوج 8 كم, هنالك دُفنَ ياسينُ وحيداً غريباً تحتَ جنحِ الليل.

تواصلَ بعضُ أهلِ القريةِ مع إمامِ المسجدِ عبرَ الموبايل, لم يكنِ الشّيخُ أبو ياسر قادراً على قولِ شيءٍ، لقد وقعَ أسيراً هو والحاج سعيد. وبقيّة أهل القرية أسرى الظنّ والشكّ والخوف.

الشيخ والحاج يُعذّبان على مدار السّاعة، هذا ما قاله أحد الجنود...

يُتبع في العدد القادم...

# الساعـــة الخامســـة والعشـــرون

## يوسف لم يغادر الجبّ!

ابتسام تريسي

ربَّما كانَتْ أطيافُ يوسُفَ النبيِّ متعلّقةً ـ بالنّسبة ليوسف "راعي الأغنام"ـ بمجسم قزّم النبي في مسلسل رأى بعض حلقاته على عجل في إحدى أمسيات الصّيف الّذي صارَ بعيداً بعدَ أنْ رماه الجلّادون في الجُبِّ. أقسمُ يومَها أنَّ الأنبياءَ ليسوا أفضلَ حالاً منه ما داموا على هذه الهيئة البشرية الّتي يمكنُ له أنْ يجسّدَها بكلِّ بساطة، فهو برأي من حوله من نساءِ العائلةِ أجملُ من ذاك الممثّلِ الذي تتهافتُ عليه نساءُ المسلسل!

منذُ ذلكَ اليومِ صارتِ النّسوةُ في القريةِ يناديْنَه "يوزرسيف" كما كانتْ زليخةُ الفاتنةُ تنادي يوسفَ النبيَّ في المسلسل. لكنّه لم يرث من قَدَرِ يوسف سوى تجربةِ الظّلم التي لا نهايةَ لها. فهو لم يقابل زليخةَ أثناءَ رعيه الغنمَ في باديةِ حماة، ولم يزرْ قصراً في حياته.. ولم ينقذْه أحدٌ من أيدي الشّبيحة الّذين اجتاحوا القريةَ، وسرقُوا أغنامَه واقتادوه أمامَهم إلى فرع الأمن بتهمة وهن نفسية الأمّة ومساعدةِ الإرهابيين. لم يفهمْ يوسفُ معنى التّهمة التي وُجِّهت إليه، ولم يعرفْ لماذا عليه أنْ يجيبَ عن كلِّ تلك الأسئلةِ التي يدقُّها المحقّقُ في رأسِه كأوتادٍ لا تتوقفُ عن الوخزِ المؤلمِ، فاختار الصّمتَ! صمتُ يوسفَ لم يعجبِ المحقّقَ، واعتبره إرهابياً عتيداً يستطيعُ إخفاءَ أسراراً مهمة عليه أنْ يعترفَ بها.

في أقبيةِ التّعذيبِ استخدموا مع يوسفَ كلَّ الأساليبِ من الشّبحِ إلى الدّولاب إلى الكرسيّ الكهربائيّ، حتّى لم يبقَ في جسده شبرٌ يحملُ لوناً بشريّاً! لكنّه لم يعرفْ حتّى اللحظةِ التي أكلتِ الحشراتُ والجربُ فيها جلدَه أنَّ صمتَه كانَ السّببَ في كلِّ ذلكَ العذابِ. لم يفهمِ الجلّادونَ أنَّه لم يجدْ ما يقولُه، حتّى اعترفَ أخيراً بكلِّ ما يريدونَه ووقَّعَ على أقواله.. و رُمِي في الجُبِّ !

أثناءَ نومه كان يصرخُ من الألم ويهذي: "لا تنسَ يا خوي.. سكّر الباب منيح على الغنم".

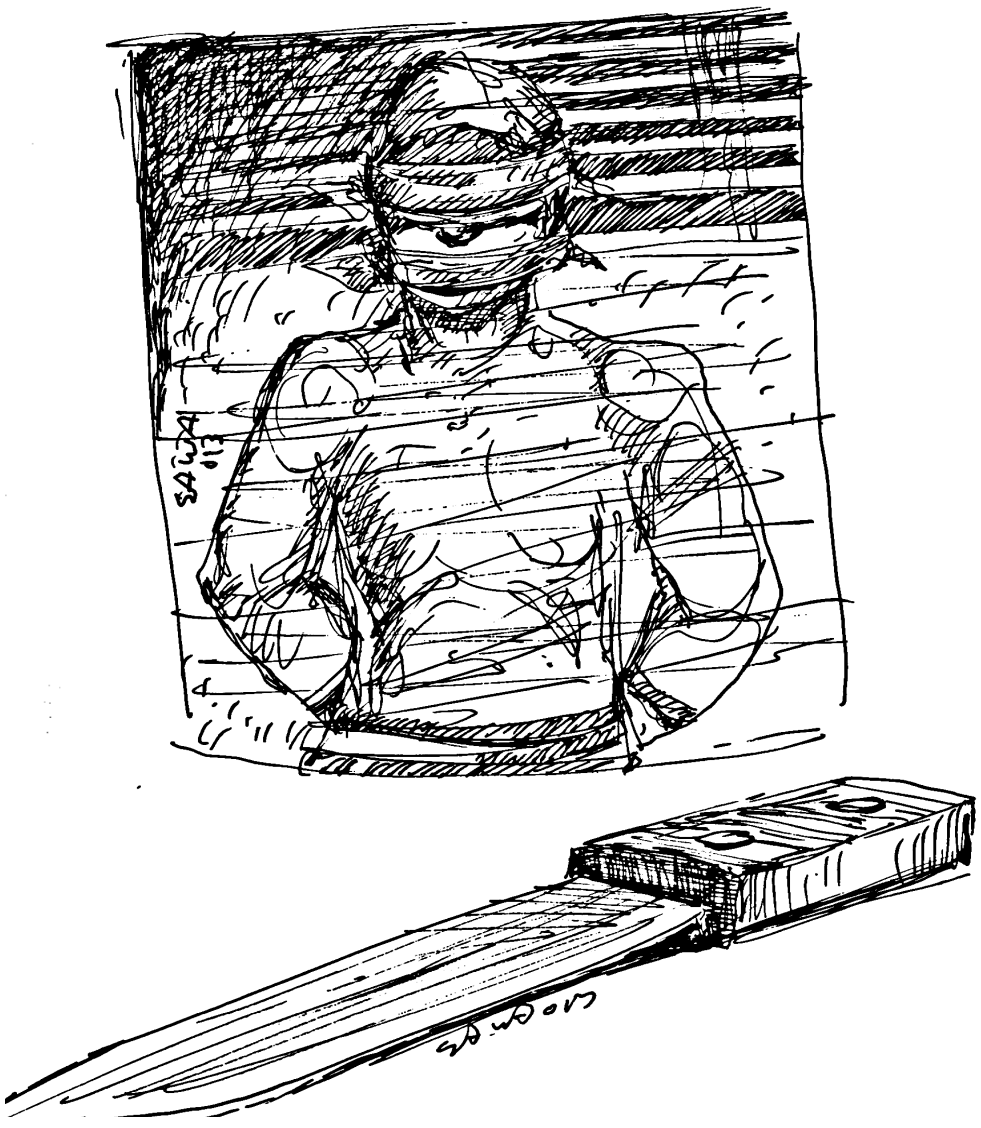

بعد سنةٍ من اعتقاله جاءَ الفرجُ.. لم يخرجْ يوسُفُ من الجُبِّ! فقد نُقِل من فرع الجويّة في المزّة إلى سجنِ عدرا بعد تحويله إلى محكمة الإرهاب. يوسف كان يعتقدُ أنّ الإرهابيين هم من يحملون سلاحاً، ويقتلون الأبرياءَ.. هكذا علّمته فطرتُه، لم يستطعِ استيعابَ أنْ يكونَ إرهابياً.. كما لم يصدّقْ أنَّ هؤلاءِ الشبابَ الذينَ التقى بهم في أقبيةِ المعتقلات، وحكَوا له عن أسبابِ اعتقالهم يمكنُ أن يكونوا إرهابيين!

في سجنِ عدرا كانَ يوسفُ أكثرَ المساجين فرحاً لتمكّنه من إجراءِ اتّصالٍ بأخيه.. ألو.. كيفك.. كيف أمّي.. كيف الغنمات؟

لم تكنْ مكالماته تتّسعُ لأكثرَ من سؤالٍ عن أمّه وأحوالِ الغنم.. لأنَّ عالمَه كان مقتصراً عليهما.. كان يردّدُ بعد كلِّ مكالمة.. الحمد لله أمّي بخير.. ( أخوي داير باله على الغنم)!

مساءَ السّبت جاءَ مندوبُ الورشات، وقفَ بالباب، وصاحَ "من يريد الشغل بالفرن؟". طبعاً نحن نعرف مسبقاً أنَّ من تهمته "إرهاب" ممنوعٌ من العمل. لكنَّ يوسفَ صاح "آني.. آني" قالَ له المندوبُ: "تعال". سأله: "أنت إرهابي" يوسفُ أجابَ ببساطته المعهودة "أي نعم إرهابي". المندوب نهره: "ارجع، ما بيمشي الحال". عادَ يوسفُ منزعجاً، سأله رئيسُ الغرفة: "شو صار معك يا يوسف؟ ما مشي الحال؟". ردَّ يوسفُ مقهوراً "الظاهر خافوا فجّر الفرن"!

اجتمعنا على الفطور كالعادة.. يوسُف لم يخفِ استغرابه من كوني الوحيد في المهجع الذي لم يأتِ أهله لزيارته. سلّمَ عليَّ "خشمك يا نور.. خشمك يا يوسف". سألني: "أنت هَلَكْ وين؟". قلت: "في تركيا".. قالَ "ها الحز أمّك بتركيا على ويش ما تجي تزورك؟" ضحكتُ، وأجبته: "لأنّها إرهابية" قال باستغراب: "إرهابية! عاااد وشنو كانت تشتغل شوفيرة دبابة؟".

البارحة جاء قرارُ محاكمة يوسف.. سيطلقُ سراحه غداً.. لم ينمْ طوالَ الليل.. أهدانا كلَّ الأشياءِ التي تخصُّه! حلّقَ لحيته، ونظر إلى نفسه في المرآة مئات المرات.. حدّثنا عن أجواءِ البادية، عن أعشابِ الأرض، عن رائحةِ الغنم، عن خبزِ التّنور العالمي الّذي تخبزه أمّه، عن النّدى في الصباحات الباكرة، لكنّه لم يتحدثْ عن فتاةٍ أو زواج.. يوسفُ كان يكتفي من عالمِ النّساء بالحديث عن أمّه!

وصل يوسف إلى القرية.. جاءنا الخبر السعيد بوصوله سالماً.

* * *

اليوم.. كان المهجعُ كلُّه حزيناً لفراقِ يوسفَ... اليومَ اتّصلنا بيوسفَ لنعزّيه بأمّه وبيته وأغنامه التي تشظّت وتناثرت أشلاء ببرميلٍ متفجّر!

# ذكريـــــات رمضانيّـــــة

محمّد عبد السّلام حيّاني

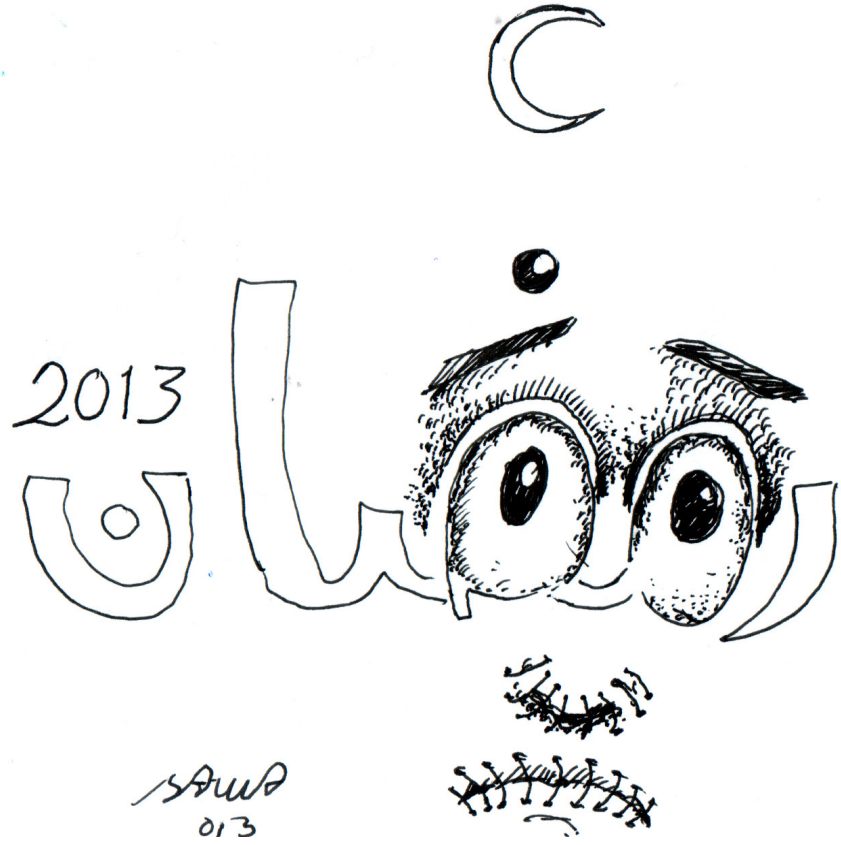


رمضانُ مليءٌ بالذّكرياتِ الدّينيّة ونحنُ مليئونَ بذكرياتٍ رمضانيّة لها خصوصيّتُها ومتعتُها الّتي ما زلنا نتذوّقُها ونعيشُ أبعادَها ونأسَفُ على أنّها بدأت تتلاشى كلّما تقدّمَ الزّمانُ وتغيّرت أخلاقُ النّاس وعلاقاتهم مع بعض فكانت لنا سَلوى.

ومن ذكرياتِ رمضانَ الّتي لا ننساها ويظلُّ رمضانُ يفخرُ بها على باقي شهورِ السّنة أنَّ بدءَ نزولِ القرآنِ كانَ برمضانَ وفي ليلةِ القدرِ الّتي هي خيرٌ من ألفِ شهر.

ومن الذّكريات الّتي يحملُها رمضانُ ويعتزُّ بها ويعتبرها من أيّامه وخصوصياته أنّ غزوةَ بدرٍ الكُبرى وقعتْ بالسّابعَ عشرَ من رمضانَ وكانت من أهمّ المعاركِ الفاصلة بتاريخ الإسلامِ لها ما بعدها.

ومن الذّكريات الّتي مازالَ رمضانُ يحتفظُ بها ويكرّرها على مسامعِنا لتبعثَ فينا روحَ الأملِ والقوّة أنَّ انتصاراتِ حطينَ وعين جالوت وتشرين كلّها وقعتْ برمضان.

ولعلَّ من أهمّ ما يحملُه رمضانُ من ذكرياتٍ أنَّ مظاهراتِ الثّورة الشّعبيّة السّوريّة كانتْ تشتدُّ في رمضانَ وبخاصّة بعدَ التّراويح من كلِّ يومٍ إذ يخرجُ النّاسُ طاهرينَ متوضّئين يتحدّون القتلَ والرّصاص, يهتفونَ للحريّة وكرامةِ الإنسان ويطالبون بحياةِ الإباءِ وأنّهم يفضّلون الموتَ على حياة المذلّة.

عرَفناه منذُ الصّغرِ وعِشنا لحظاتِ فرحِ النّاسِ بصيامِه وفرحهم عند الإفطار وشاهدنا إقبالَ النّاسِ على المساجد حتّى تضيقَ بهم ورأينا انكبابَ الناس على قراءةِ القرآن والأذكار، فصُمناه تقليداً وتحتَ إغراء الهدايا والإفطاريات الشهيّة من سكاكرَ وبسكويت وقضامة وذلك قبل أنْ تظهرَ هذه الأنواع من مآكل الأطفال التي نعجزُ عن حفظ أسمائها من مأكولات محفوظة لا يخفى ضررها.

ومن الذكرياتِ أنّنا نادراً ما صُمنا يوماً كاملاً لأنّنا كنّا صغاراً وكانَ رمضانُ يأتي بالصّيف وأيام الحرّ فعلّمنا أهلونا صومَ الغزلان أو صيامَ درجاتِ المئذنة وهو أنْ نأكلَ ونشربَ متى أردنا ثمّ نمسحَ أفمامَنا وننوي الصّيامَ, المهم أنْ يحلَّ الفَطور عندَ المغرب ونحنُ على صيامٍ.

لقدْ كانت ساعاتُ ما قبلَ آذانِ المغربِ وغياب الشّمس مليئةً بالحركةِ والذّكريات إذْ كُنّا نذهبُ إلى التلّ الأسودِ كباراً وصغاراً. الصّغار يحملون الإفطاريات, نحملُها بأيدينا الصّغيرة, والكبار يضعون بين أصابعهم السّجاير يمجُّون منها فورَ حلولِ الإفطارِ نصعدُ التّلَّ وكأنّنا على جبلِ عرفات ننصتُ لسماعِ صوتِ مدفعِ رمضانَ ونديمُ النّظرَ إلى اللّمبة الخضراء على قمّة مئذنة الجامع الكبير فإذا أضاءت نأخذ بالصّياح والتصفيق.

وكنتَ برمضانَ أيّامَ زمانٍ لا ترى من يأكلُ علناً إذْ يُسجَن إلى ما بعدِ العيدِ لذا كانتِ المطاعم على قِلّتها تغلقُ ليُجدَّد ديكورها. حتى إذا ما ضربَ مدفعُ الإفطارِ وكنّا نسمّيه (الطّوب) ننزلُ من فوقِ التّلّ هرولةً كباراً وصغاراً إلى بيوتنا لنجدَ مائدةً تزدحمُ بأنواعِ المأكولات الّتي جهّزتها أمهاتُنا وكانتِ العادةُ أنَّ أهلَ الحيِّ يتهادون الأطعمةَ فكانتِ السّفرة عامرةً بأنواع الطعام فتعرفُ كلَّ بيتٍ ماذا طبخَ, ونادراً ما تجدُ بيتاً لا فطورَ عنده لأنَّ الفقيرَ يتعهّده أهلُ الحيّ فيأتيه رزقُ يومِه إذ كانَ النّاسُ على ألفةٍ وتكافل.

ومن ذكرياتِ رمضانَ أنْ ترى الفرات مليئاً بالسبّاحين يبتردونَ من الحرِّ ويطفئون غُلّةَ العطشِ من الصّيام الطويل أو يذهبون إلى (الكاطر)، وهو كهف كارستي بالجبل عند مدخل الرّقة، وهو باردٌ حتّى يضطر الناس استعمال البطانيات.

ولعلّ أهمّ ما يميز إفطار رمضان بالصّيف كثرة الأشربة الباردة من (سوس- وتمر هندي- ولبن رائب- وشراب- ومنقوع قمر الدين...) وكنّا نعُبُّ منها حتّى أنّنا لا نستطيع تناول الطّعام إلا بعد صلاة التراويح.

ومن ذكريات رمضان الاحتفال المهيب بذكرى بدر أو بليلة القدر ومن الذكريات التي نحملها عن رمضان خاصّة تقاطر الناس إلى المساجد لأداء صلاة التراويح بركعاتها العشرين وإيقاعاتها الشجيّة من تكبير وتسبيح.

ومن المألوف أنّه بالأيام العشرة الأخيرة من رمضان بالأناشيد الدينية وكانوا يكرّرون عبارة (يا شهرنا هذا عليك منا السلام).

ومن ذكريات رمضان في سنة 1982 وبعد صلاة آخر تراويح خرجنا من الجامع الكبير وكان من جملة المصلين ذاكرةُ تاريخِ الرقة المعاصر أحمد الحاج عبد الله وكان قد بلغ من العمر عتيّاً، فقال لنا نحن جملة من الشباب (هذا رمضان قد أنهيناه على خير أمّا رمضان الجاي فعليكم)، وبعد عدة أشهر ماتَ رحمه الله في شهر نيسان من العام 1983.

# اختبـــــار المواطنـــــــة

## د. نجاة عبد الصمد

سؤالٌ أوّلُ إلى أمّ عبدِ الله: هل كانت تلزمنا الحرب كي نعرفَ بعضنا بعضاً؟!

بعدَ أكثرَ من شهرٍ من نزوحِها إلى السُّويداء صارتْ أمُّ عبدِ اللهِ من درعا تقول: سامحونا...

أرعبَنا القصفُ بقدرِ ما أرعبَنا وطءُ دياركم. يرْوُون عنكم أنّكم وحوشٌ ومارقونَ وكفرةٌ، وفاسقونَ... حسدَنا من استطاعَ الفرارَ من درعا إلى مخيّم الزّعتري في الأردن، وشتمنا قدرنا الكسيح الذي اضطرنا إلى اللجوء إليكم يا دروز...

لياليّ الأولى قضيتُها أنامُ خلفَ البابِ أحرسُ أطفالي في الغرفة الّتي أعطونا إيّاها. تحتَ مخدّتي سكينٌ جلبتُه من مطبخي للطّوارئ لم أحملْ سواه، وسوى مدّخراتي، وتمرٍ كثيرٍ ولبنٍ جميدٍ... زوجي يتّصلُ من السّعودية كلَّ يومٍ يقولُ لي عودي بهم، موتوا هناك, ولا تموتوا بيدِ الكفّارِ أصحابِ الذّيول...

(ولوين أرجع؟! هناك بيتي المحروق والدبابات اللاطية مثل أفيال أبرهة الحبشي)....

لمْ أطعمْ أطفالي من زادِكم الحرام، أحتالُ وأرميه ليلاً في برميلِ الزّبالة البعيدِ. كلّ يومٍ أقسمُ تمراتي القليلة على أولادي، وأُذوّبُ اللّبن الجميد بالماءِ ليشربوه، وآكلُ فقط ما يبقيني حيَّة.

مضيفتي الذكيّة انتبهت إلى ذبولِ أولادي، إلى ثيابِ الأطفالِ الّتي أعطتني إيّاها ما تزالُ مطويّةً كما تركتْها بعدَ وصولِنا في زاويةِ الغرفةِ. قد تكون حدستْ برعبي. أحضرَت إلى غرفتنا طبقَ الغداء، وجلست، أكلتُ منه عدّة لقيماتٍ قبلَ أن تقفَ وتستديرَ صوبَ البابِ وهي تقول: بالهنا يا إخوتي، كلوا ممّا أكلت...

سؤالٌ ثانٍ إلينا نحن: هل كانت تلزمنا الحرب كي نختبر مواطنتنا؟ أو: كيف كانت السّويداء الّتي جاءت إليها أم عبد الله؟

كانت المرحومة (حماتي) وقبلَ أنْ تبدأ بتحضير طبختها تتمتم: (مش لمين انسمى، لمين انقسم)! تؤمن أنَّ اللهَ وحدَه يعرفُ صاحبَ النّصيب. وبعد أن تكيلَ من البرغلِ ما يكفي أهلَ البيت تغرفُ كمشةً فائضةً على نيّةِ إطعامِ ضيفٍ طارئٍ، أو عابرِ سبيلٍ، أو غريبٍ قد يدقُّ باب البيت طالباً رزقَ الله والكريمين..

وما تزال أمّي توصيني: "ما بحِن عالعود غير قشره". تقول وتعيد: لا تقلقي على النّاس في المدينة، هنا (الطاسة ضايعة)، لا أحد يعرفُ أحداً، سيعثرُ واحدهم على أيِّ عملٍ تحتيٍّ يبادلُه بقوتِ يومِه، وإنْ ضاقت به الحالُ سيشحذ، سيطرقُ بابَ أيِّ بيتٍ لا يعرفُه، ويستعطيه. لكنَّ أبناءَ القُرى الصّغيرة يعرفونَ بعضَهم بعضاً؛ سيخجلون من تمريغِ وجوهِهم في الشّحاذة, فيباتون على جوعٍ إلى أن يفرّجَها ربُّ الكون.

كأنَّ "فاليري آموس"، مندوبةَ الأممِ المتحدة كانتْ تعيشُ بيننا

حينَ صرّحتْ أنَّ معظمَ المساعداتِ التي بُذِلتْ للمنكوبين في سوريةَ جاءتْ من إخوانهم السّوريين الأقلّ نكبةً. إنّها فطرةُ أهلِنا الّتي لا نجيدُ الحديثَ عنها مثلَ آموس، لكنّنا ـ منذ وعينا ـ نعيشُها، نسعى لأنْ نكونَ أبناءً طيبينَ لأهلٍ كريمين! فحين قدمَ النازحونَ إلى السُّويداء تفازعَ من أبنائها كلُّ ذي عرقٍ حيّ، وكأنّ القادمَ ضيفه الشخصيّ.

بدأنا بتقسيم المسؤوليات: دَورُكم اليومَ في إفطارهم، أو في أخذِ هذا إلى الطبيبِ، أو في الاتّصال بأهلهم، أو في ترفيهِ صغارِهم في الحدائقِ. كنتُ سأشتري الطعامَ الجاهزَ في يوم دوري فجاءت سلفتي غيرُ الموظفة وقد حسبت ثمنَ الطعام، وانتهت إلى اقتراح: أعطوني ثمنَ الغداء الجاهز، سأطبخُ بنفسي في البيت، ومن فرق الثمن سأشتري لأطفالِهم بيجاماتٍ جديدة، لا أملك مالاً أقدّمُه، سأعطيهم من ثيابِنا، أمّا الأطفالُ فلا بدَّ أن يفرحوا ببيجاماتٍ جديدة.

صديقتي الّتي زارت عيادتي، تعرفُ أنّني لن آخذَ منها أجورَ المعاينةِ، نبتت في رأسها الفكرةُ التي لم نحكِ معا بها من قبل أبداً: "افتحي صندوقَ تبرعات من اللي مثلي ما راح تاخذي منهن مثلي، حتى لو 100 ليرة، كلو بجمّع، وكل مبلغ ولو صغير بساعد حدا". وهكذا وُلِدت فكرةُ الصُّندوق في عيادتي، وفي كثيرٍ من المكاتب والبيوت...

ابنةُ صديقتي عمرها خمسُ سنواتٍ قالت للطّفلة ابنةِ أسرة درعا التي استضافها أهلها: راح ننام أنا وإياك على سريري، وإذا بدّك نامي لحالك فيه... وابنتا صديقتي فرحتا بمهمة سكب صحون الشوربة من الطناجر الكبيرة التي طبختها نساء المدينة، وتوزيعها على الأطفال! وابن صديقنا يقف رقيباً على أبيه حين يدقّ بابهم واحدٌ من مئات الأطفال المتسولين الذين صاروا يملؤون المدينة: "ليش بس 50 ليرة يا بابا؟!" يعرف أنَّ أباه بالكاد يستطيعُ تأمين حاجاتِ البيت... يركضُ إلى حصالتِه الصغيرة ويقلّبُ كلَّ ما فيها من ليراتٍ حجرية ويصبُّها بحنانٍ في يدِ الطفل ويبتسم في وجهه...

# "ادبحني يا معلم.. قطّعني يا معلم!"

شريف صالح ـ مصر

في ثمانينيات القرن الماضي، انتشرَ إعلانٌ لدجاجةٍ ترقصُ وتغنّي وتقول: "ادبحني يا معلم.. قطّعني يا معلم!"، وحدثَ هوسٌ شعبيّ بهذه الجملة. فهي تنطوي على إيحاءٍ جنسيّ مازوحي، مثير للمخيلة الشعبية المحرومة والمكبوتة، إلى درجةٍ أنَّ أحداً من الفرحين والمنتشين بالإعلان لم يسأل نفسَه سؤالاً منطقياً: إلى هذا الحدّ تطلب الدّجاجة بكلِّ فرحٍ وسرور، أن تُذبحَ وتقطّعَ إلى أشلاءٍ كي تتحوّلَ إلى "مرقة" و"شوربة" و"دم"؟!

"المعلم" إذاً ليسَ قاتلاً ولا "جزاراً" بل بشهادةِ الدجاجةِ نفسِها، هو المنقذُ، والمنفّذُ لرغباتها المعلنةِ والمكبوتة، هو البطلُ!

والعنفُ ليس حالةَ قسوةٍ مفرطةٍ يمارسُها طرفٌ قويٌّ على طرفٍ مستضعَفٍ وعاجزٍ عن الدفاعِ عن ذاته، بل حالةٌ يتواطأ طرفانِ في الانتشاءِ بها، مثلما انتشتِ الدّجاجةُ بالذبح، وانتشى "المعلم" باستعراضِ رجولتِه!

وكما يحدث هذا بين "الدجاجة والمعلم"، يحدث بين الزوجة وزوجها، وبين الشعب وحاكمِه. طرفٌ يستمتع بدورِ الضحيّة وطرفٌ يستثيره دورُ الجلاد.

دعونا من "الجلاد"، فهو ذاتٌ مريضةٌ، يمارس شرّاً صرفاً.

ماذا عن الضحيّة؟

إلى هذا الحدّ هي مستلبةٌ، وفاقدةُ الشعور، ومستعدّةٌ لما هو أسوأ من الذبحِ والموت والدمار؟ ألا تنتبهُ إلى المخاطرِ المحيطة؟ كيف لا تقاوم؟ كيف تحوّلَ طقسُ الذبحِ إلى "وصلة دبكة"؟

أسئلةٌ تجعلُنا، أحياناً نتعاطفُ مع "الضحيّة" ونشفقُ عليها، ونحنُ نراها تُساقُ مثل ثيرانٍ مغمضةِ العينين إلى المذبح.. وأحياناً أخرى ننقمُ عليها ونلعنُها: الضحيّة تطلبُ جلّادها، والشعوب تستحقُّ حكامها!

وقد صكَّ المفكرونَ مصطلحاتٍ كثيرةً تبحثُ هذه الحالة المركّبة، فهناكَ من تحدّثَ عن "القابليّة للاستعمار" الذي طرحَه ـ عربيّاً ـ مالك بن نبي، فالضّعيف المستعمَر يقبلُ شروط المستعمِر، ويتماهى معَه، يطلبُ رضاه ويغنّي له أحياناً: "قطّعني يا معلم".. مع مرور الزّمن، تتأصّلُ شروطُ المستعمِر في جيناتِ المستعمَر، كأنّها طبيعةٌ لا تتغيّر.. ولكي يقاومَها يحتاجُ إلى عقودٍ مثلما قاومت الجزائرُ احتلالَ فرنسا أكثر من 130 عاماً!

وثمّةَ تحليلٌ نفسيّ يُسمي تلكَ الحالةَ بمتلازمة استكهولم Stockholm Syndrome وهو مصطلحٌ مأخوذٌ عن واقعةٍ حقيقيّة، عندما سطا مجموعةٌ من اللصوص على بنكٍ عام 1973، واتّخذوا بعضَ موظّفي البنك رهائنَ لستّةِ أيّامٍ، خلالَ تلكَ الفترةِ بدأ الرهائنُ يرتبطونَ "عاطفيّاً" مع الجناة، بلْ قاموا بالدّفاعِ عنهم بعد إطلاقِ سراحِهم. ولو طلب الجناةُ أن يغنّوا لهم: "قطّعني يا معلم" فلن يترددوا!.

إنّها حالةٌ نفسيّةٌ تصيبُ الفردَ عندما "يتعاطفُ" أو "يتعاونُ" مع عدوّه أو من "أساءَ" إليه بشكل من الأشكال. فالضحيّةُ وتحت الضغط النفسي الرهيب، تبدأ لا إرادياً بصنعِ آليةِ دفاعٍ عن النفسِ، من خلالِ الاطمئنانِ للجاني، خصوصاً إذا أبدى حركةً تنمُّ عن الحنانِ أو الاهتمامِ حتّى لو كانت صغيرةً، هنا تقومُ الضحيّةُ بتضخيمِها جداً. بل تفكّرُ في خطورةِ إنقاذها، وأنّه من الممكن أن تتأذّى إذا حاولَ أحدٌ مساعدتها، فتتعلّق أكثر بالجاني.

أيُّ نظامٍ قمعيّ لا يمارسُ أكثرَ من ذلك، يختطفُ بلداً وشعباً، ليسَ لستّةِ أيامٍ فقط، بل لعقودٍ من الزّمان، فيتحوّلُ الشعبُ كلُّه إلى ضحيّةٍ تغنّي لجلّادِها، وتضخّمُ أيَّ لفتةِ ودٍّ تصدرُ عنه، وتخشى أدنى تغييرٍ في هذه المعادلة. وهكذا يعتادُ الشّعبُ على الذل والقهر بل ويدافعُ عمّن يذلّه، خوفاً وطمعاً.. وبالفطرةِ يعرفُ الجلّادُ ذلك، فلا يتورّعُ عن ابتزازِ الشّعبِ بكلِّ حيلةٍ ممكنةٍ، وإثارةِ مخاوفه، وتنفيسِ معدّلاتِ الضّغطِ حتى لا تنفجرَ، عن طريقِ الأغاني وبعضِ النّقدِ السّياسي، واللّفتاتِ الحانية، كأنْ أقرّرَ إعدامك ـ بلا سببٍ ـ ثم أخفّفَ الحكمَ إلى السجنِ المؤبّد، ساعتها ستكون ممتنّاً لي، لأنّني لم أقتلْك رغمَ أنّه لا شيءَ يمنعني من قتلك!

إذاً الأمر ليس مجرد "قابلية" أو "قبول" للذبح، بل أيضاً دفاع مستميت عن الجلاد والتماس الأعذار له، ضد الذات المهدرة والمقهورة.

لا يبعدُ كلُّ هذا كثيراً عمّا أطلقَ عليه بيير بورديو "العنف الرمزي"، والذي يكشف إجمالاً عن ممارسات القوّة والتسلط والقهر، غير المرئية.. أو تلك الّتي لا ننتبه إليها. فمثلاً: الفلّاحُ الريفيّ يخجلُ من لهجته أمام لهجةِ سادة المدينة.. رغم أنّه لا أفضليةَ للهجةٍ على أخرى.. لكنَّ سادةَ المدينة درّبوه دائماً على أنّهم الأعلى والأقوى، وعليه أنْ يعبّرَ بلا كللٍ عن قهره واستلابه أمام كلِّ النماذج التي يقدمونها له: اللهجة، السيارة، بنطلونات الجينز، وأغاني الفرانكو آراب...!

عشرات الدراسات حول "سيكولوجية المقهور" تنتهي بنا إلى أنّه ليسَ مجرّدَ "ضحية بريئة"، بل ضحية تمَّ تشويهها عبر تدريب وخبرات سلبيّة وسيئة وعقود من الزمن، فُرضت فيها أنماطٌ ثقافية بعينها، وفضاءات اجتماعية وسياسية واجتماعية، كي تعيدَ الضحيّةُ إنتاجَ أدوات قهرها بنفسها.. وتحوّل تلقائياً بذورَ العنف الذي مُورس طويلاً ضدَّها إلى جيناتٍ راسخة في روحٍ مهزومة. وقبل أنْ نفكّرَ في اقتلاعها من "الجلاد" علينا أولاً أن نقتلعَها من الضحية.. نعالجُها من "متلازمة استكهولم" وقابليتها للقهر والاستعمار.

وإذا طبّقنا ذلك على الوضع في سورية، فإنّ كلَّ هذا الدم والعنف والدمار، هو بمثابة "حُمّى" أو مخاض عسير، تتخلّص فيه الضحيّة من عقود طويلة جداً من القهر والاستلاب، من شبكة إذلال سرّية وعلنيّة اخترقت كافةَ مجالات الحياة. إنّها مسألةٌ عميقة تتجاوز الخلاص من شخص ما.

يُقال إن الله خلق الإنسان حُرّاً، لكنَّ الإنسانَ لم يخش فعلاً مثلما خشي ممارسة فعل الحرية الذي لا يتطلب منه أي شيء، سوى أن يمارسه ويعيشه.

بكلِّ بساطة هذا أوانُ أن يخرجَ الإنسانُ إلى النهار.. إلى العدل والحرية.. مهما كان الثمن.

فعلى الضحية أن تتوقف عن إنتاج السُّم الذي يُوضع في طعامها، وعن فتل الحبل الذي تشنقُ به نفسها، وصناعةِ البارود الذي لا يُدمّر إلا بيتها.. عليها أن تتوقف عن عبادة جلّادها الذي يهيمن على روحها.. الجلّادُ بائسٌ لا وزن له، لكنّنا نحن الذين نضخّمه.. نحن الذين نجسّده ونستدعيه ونضفي عليه الهالة عندما نغنّي له: ادبحني يا معلم.. قطّعني يا معلم!

# الـرتـــــل

حسن المصطفى

خرجَ الرّتل, عادَ الرّتل, توقّفَ الرّتل, انسحبَ الرتل, انقطعَ الرّتل, قصفَ الرّتل, تراجعَ الرّتل, اشتبكَ الرّتل, انهزمَ الرّتل, تردّدَ هذا الاسمُ كثيراً في الآونةِ الأخيرةِ, وكُنّا قد بدأنا نسمعُ به فورَ تطهيرِ المدينةِ ونيلها حريّتها، وعلى فتراتٍ متباعدة أحياناً وخلالَ الأزماتِ والانكساراتِ التي كان يتعرّضُ لها النظام، ولكنّ الغريبَ أنّ الرّتل آنذاك كانَ في كلّ مرّةٍ يأتي من جهة معيّنة، فمرّةً نسمعُ بقدومه من حماةَ، ومرّةً من سلمية، ومرةً من دير الزّور، وأخرى يخرج بها علينا من حلبَ، وأخرى من المطار العسكريّ بالطّبقة، وكلُّ تلك الأرتال كانتْ تهدفُ إلى إعادةِ المدينةِ إلى حظيرةِ العبوديّةِ بعد أنْ نالتْ حريّتها عَنوةً ورغمَ أنفِ النّظام, إلّا أنَّ ما كانَ حقيقيّاً من تلكَ الأرتالِ قد نالَ نصيبَه من الهزيمةِ والخذلان بفضلِ بسالةِ وشجاعة أبطال الجيش السّوري الحرّ بكلّ فصائله المقاتلة التي كانتْ له بالمرصادِ في كلّ مرّة, أمّا أكثرُ الأرتال تأثيراً في جانبها المعنويّ كانت تلك التي تخرج بين الفَينة والفينة من اللّواء 93 المتمركزِ في منطقة عين عيسى بهدفِ نجدةِ قواتِ النّظامِ المحاصرة في الفرقة 17 التي تحدّثت عنها وسائلُ الإعلام كثيراً بعدَ أنْ طالَ حصارُها، وامتدّت حالاتُ الاشتباكِ على محيطها طوالَ الأشهرِ الّتي تلتْ تحريرَ المدينة.

ولو عُدنا إلى الرّتل الّذي نحن بصدده متسائلين في البدء, ما هو الرتل؟ ولِمَ يسمَّى رتلاً؟ وما السرُّ الّذي يكمن في هذا الرّتل, الّذي يبعثُ على الفرح والتّرح في الوقت ذاته, حيث يجعل بعضَنا تنفرج أساريره ليعلوها الفرح والبشر مهلّلة بالقادم الجديد ومرحّبة بوفادته كمخلّص طالما انتظره؟ وبالمقابل كان كثيرون يبدون انزعاجهم, ولربّما يرتفعُ مستوى مخاوفهم وتوترهم لمجرّد سماع خبرِ خروجه من مكان تمركزه، ولكلٍّ منهم أسبابه الموضوعيّة الّتي يتعلّل بها.

ولبيانِ الحقيقة جليّة وساطعة بما يجعلُ النقاطَ تنتظمُ فوقَ حروفِها نجدُ أنَّ من المفيدِ إيراد ما يلي: الرّتل قوّةٌ عسكريّةٌ غيرُ محدّدة القوام بالعدد والعتاد يتغيّر قوامه وتجهيزه تبعاً للهدف أو المهمّة المكلّف بها, تتحرّك بتشكيل قتاليّ متتابع خلفَ بعضها البعض بشكلٍ يمكّنُها من الاشتباك مع العدوّ في أيّة لحظةٍ, أمّا تحرّكُ مجموعةٍ من القوات، عرباتٍ مدرعة ودباباتٍ محمولة على ناقلات إضافة إلى وسائط قتال أخرى مدفعيّة ورشاشات ثقيلة، أو خفيفة، سيارات نقل عسكرية، فإنّها تسمَّى قافلة عسكرية.

أمّا الرّتل الّذي بصددِ الحديثِ عنه فهوَ قوةٌ عسكريّة مؤلفة من بضع دبابات وعربات ب م ب وسيّارة صهريج وغيرها من العتاد المرافق خرجت من منطقة تمركز اللواء 93 في ناحية عين عيسى نهايةَ شهر حَزيران بهدف تعزيزِ القوّات المتمركزة في قيادة الفرقة 17 شمالَ مدينة الرّقة الّتي توشك على السقوط تحت ضربات أبطال الجيش السوري الحرّ وفصائله المقاتلة.

استطاع الرّتل الخروجَ من مكان تموضعه وبمساندة بعض الفلول في تلك المنطقة تمكن من التقدُّم عدّة كيلومترات باتّجاه بلدة خنيز ظنّاً من قيادته أنّه قادرٌ على الوصول إلى مبتغاه, وهو في ذلك يخالف كل منطق عسكري حقيقيّ لأنّه من غير المعقول والمتصور أن يستطيعَ تشكيلٌ عسكري بهذا القوام أنْ يتقدّمَ في أرض مكشوفة ومعادية ولمسافة خمسين كيلومتراً دون أنْ تتوفّر له التغطية الجوّية المستمرة طوال فترة تقدّمه وهذا لم يتحقق، لأنّ قوةً بسيطة مؤلفة من بضعةِ عناصرَ مزودين بقواذف م/د قادرةٌ على إيقافه وتعطيل حركة تقدّمه. فما إنْ علمت الكتائب المقاتلة بخروجه حتّى أسرعت لملاقاته وإيقافه بعملية تثبيت لتغدو تجهيزاتُه وآلياته ودباباته أهدافاً ثابتةً نالَ منها المقاتلون, ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بعملية قطع لطريق العودة فغدا بين فكّي كمّاشة ممّا أوقع عناصره بين قتيلٍ وأسير وهارب من أرض المعركة, إضافةً إلى الخسائر الكبيرة والغنائم المهمة في العتاد والآليات, وهكذا ينتهي مصير الرّتل كمصير سابقيه من الأرتال التي ضحّى بها النظامُ في محاولاتٍ يائسةٍ بائسةٍ لتعزيزِ الرّوح المعنوية لدى قواته وفلوله من البعض التي باتت اليوم في الحضيض, وهذا البعض الذي كان قد استبشر بقدومه وراح ينسج الحكايا والخوارق التي ستتحقق في القادم من الأيام, وأنّ هذا الرّتل سيكون رأس الحربة لقوات النظام التي ستستعيد زمام الأمور، وتعيد المدينة إلى حظيرة العبودية الّتي يتشوّق للعيش في ظلّها أولئك العبيد من فلول النظام, ولكن ولله الحمد خاب ظنّهم وانقلب السّحر على السّاحر, حيث جاءت انتصارات الثوار كوقع الصواعق على رؤوس عبيد النظام الخاوية إلا من غباء وضلالةٍ أفقدتهم بصيرتهم قبل بصائرهم فغدوا من الذين ظلّ سعيهم في الحياة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً, حيث أمست وجوههم مسوّدة ترهقهم ذِلّة لسوء ما بُشّروا به, نسأل الله لهم الهداية والرشاد قبل فوات الأوان.

وأما البعض الآخر الذي كان منقبضَ النفس ينتابه القلقُ وشيء من المخاوف تجوس في خاطره من سماعه لخبر خروج الرّتل والأخبار الكاذبة التي روّجها أفراد الطابور الخامس بين أوساط الشعب, وهذا البعض المتخوّف كما أسلفنا يدرك أكثر من غيره معنى دخول رتل من قوات النظام البائد إلى المدينة، فإنّ حملةَ انتقام غير مسبوقة ستشهدها المدينة، وحمامات من الدماء ستغرق المدينة دون تمييز بين موالين عبيد ومعارضين أحرار بعد أنْ أمست المدينة عاصمة للحرية بلا منازع، وهذا ما أغاظ النظام وجعله يسعى سعيَ المسعور لإعادتها إلى ربقة العبودية التي خرجت منها رغم أنفه بفضل تضحيات المئات من زهرات ربيع شبابها التي قدمت على مذبح الحرية والكرامة التي لا يعرف قيمتها إلا الأحرار.

# في البدءِ كانت الكلمة..

د. خولة حسن الحديد

الكلمةُ رصاصةٌ تخترقُ العقولَ، وتفعلُ فعلَها أكثرَ بكثيرٍ ممَّا تفعلُه الرّصاصةُ في الجسد، ولعلّ أكثرَ ما نحتاجُه في هذه المرحلة هو الكلمة الصّادقة، كلمةُ الحقِّ التي ابتلعَها الجهلُ والتّخلف متقمّصاً هيئاتٍ مختلفةً تلتحفُ بلحافِ الدّينِ والتّقى والوَرع.

في تَجربة مدينة الرّقة المحرّرة نستشعرُ الحاجةَ الملحّة لتلكَ الأصواتِ الصّادقةِ الّتي تعلنُ للملأ كلمةَ الحقّ، أينَ هؤلاءِ الّذينَ كانوا يصدحُونَ بأصواتهم عالياً ضدَّ الطّاغية فليستردوا أصواتَهم ضدَّ الطُّغاةِ الجُدد أيضاً؟ لماذا خفتتْ أصواتهم وكأنّ الوديانَ ابتلعتها؟!

لن تقومَ لنا قائمةٌ إلّا في البدءِ بمعالجةٍ تستنهضُ الفكرَ، وتخوضُ معركةَ التّنويرِ وصولاً إلى التّحررِ النهائي من كلِّ الأفكارِ العتيقةِ سليلةِ الظّلامِ والبغي والطُّغيان، وكيفَ يمكنُ أنْ توجدَ سياسةٌ جديدة ومستقبلٌ مختلف من دون فكرٍ جديد؟ فكر طازج وناضج لا يتمثّل ولا يشبه فكرَ أشباهِ المثقفينَ الّذين رموا بأنفسهم في أحضانِ الطّاغية سابقاً، والآنَ ينتقلون إلى ضفّةٍ أخرى من البغي المستترِ بستارِ الدّينِ والورعِ ووكالةِ السّماءِ على الأرض، نحتاجُ فكراً جديداً يواصلُ انتزاعَ الحريّةِ والكرامة الإنسانية، حريّة المعتقد والفكر وبناء الدّولة المدنيّة اللّاطائفيّة الّتي تليقُ بتضحياتِ السّوريين وخساراتهم الفادحة.

أكثرُ ما يحتاجُه السّوريونَ اليومَ هو الكلمةُ الصّادقة المنبثقةُ من فكرٍ تنويريّ، يعملُ على تفكيكِ كلِّ المقولاتِ الجامدةِ والفتاوى الفقهيّة القديمة الّتي وُلدتْ في عصرٍ وسياقاتٍ مغايرةٍ لعصرنا، وما زالتْ تسبغُ الشّرعيةَ الإلهيّة على العصبيّاتِ الدينيّة ويتسلّحُ بها العصبويون، ولكنْ مَن يمكنُه أنْ يتجرّأَ على تفكيكِ تلكَ الثّوابتِ المعصومة من الخطأ في مجتمعنا؟؟.. إلّا كلُّ ذي فكرٍ مستنيرٍ لا يهدفُ إلّا للتنوير وإصلاحِ حال المجتمع بعيداً عن أيّةِ نفعيّةٍ أو رؤيةٍ مصلحيّة رأهناً ومستقبلاً، ولن يتوفّرَ ذلك إلا بوجودِ المثقفين والمفكرين والفنّانين الّذين لا يريدون من هذا العالمِ إلّا نشرَ الأفكارِ التنويريّة، ومقاومةَ كلِّ ما هو ضدّ الإنسان بغضّ النّظر عن الذّرائع والحُجج التي تُساق في سبيل ذلك.

سُئِلَ الفنّانُ الإسبانيّ (بيكاسو) يوماً عن هدفِ الفنّ التّشكيلي، وعن مقولة الفنّ للفنّ في الوقت الذي كانَ يرسمُ فيه رائعتَه الخالدة "غرنيكا" فقالَ: "الفنّ التّشكيليّ لم يُخلَقْ عبثاً، لم يُخلَق لتزيينِ البيوت والجدران، الفنّ التشكيلي ملتزمٌ في جوهره وأساسه، إنّه أداةٌ من أدواتِ الحربِ الهجوميّة والدّفاعيّة ضدّ العدوِّ أيِّ عدوٍّ وليسَ فقط العدوان الخارجي، إنَّ الحربَ الأهليةَ الإسبانية الدّائرة حالياً هي حربُ الرجعيّة ضدّ الشعب، أو ضدّ الحرية، وحياتي كلُّها كفنّان لم تكنْ إلّا نضالاً متواصلاً ضدّ الرجعية وموت الفنّ أو استقالته، وفي اللّوحة التي أرسمها الآن والتي سأدعوها «غرنيكا»، كما في كلّ لوحاتي الأخيرة، فإنّي أعبّرُ بوضوحٍ عن تقزّزي من الطّغمة العسكرية الّتي جعلت إسبانيا تغطس في بحرٍ من الدّماء والآلام والموت".

إنّ أقصى ما نحتاجُه اليومَ في المجتمع السّوري هو وجود أمثال بيكاسو وفكره وفنّه وإيمانه، من مفكرين وفنانين ومبدعين يقدمون حلولاً مبتكَرة لكلّ المشكلات المجتمعية ما ظهرَ منها وما استتر... فهل مِن مجيب؟!..

# حقوق الإنسان في سورية

محمد الغازي

صدرَ الدّستورُ السّوريّ بعام 1973م الّذي حكمَ بموجبه الطّاغيةُ حافظ الأسد ومن بعده وريثه الطّاغية بشّار, وقد أسهبَ الدّستور في التّحدُّث عن الحريات الإنسانيّة في الفصل الرّابع منه, في المواد (49-25)، حيثُ نصَّ على أنَّ الحريّةَ حقٌّ مقدَّسٌ للمواطنين، والدّولة تكفلُ حريّة المواطنين، وتحافظُ على كرامتهم وأمنهم، والمساواة أمام القانون في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص/المادة25/.

ولكلِّ مواطن حقُّ المساهمة في الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافية في البلاد. ولا يجوزُ تعذيبُ أحدٍ جسدياً أو معنوياً, أو معاملته معاملةً مهينة.

وكذلك نصَّ الدُّستور على عدمِ جواز إبعاد أيِّ مواطن عن أرض الوطن, كما صانَ في المادّة/35/ منه حريّةَ الاعتقاد واحترامَ الأديان. والعمل حقّ لكلّ مواطن وعلى الدّولة حقّ التعليم لكل مواطن، وحفظَ الدستورُ في المادة/38/ حريّة الرأي والتعبير, وأن يساهمَ كلُّ مواطن في الرقابة والنقد البنّاء, وتكفلُ الدولةُ حريّةَ الصحافة والطباعة والنشر.

وأعطى الدستور في المادة/49-48/ الحريةَ للقطاعات الجماهيرية بإقامة التنظيمات النقابيّة الاجتماعيّة أو المهنيّة أو جمعيّات الإنتاج أو الخدمات, ولها الحقّ في أن تشاركَ في بناء المجتمع.

وفي الحقيقة لابدّ أنْ نسلّمَ مسبقاً بأنَّ تلك المبادئَ مثاليّةٌ وجميلةٌ ويمكن أنْ ترتقي إلى طموح الإنسان نسبياً ونظرياً, ولكن في الواقع العملي والفعلي لا نجد تلك المبادئ إلا حبراً على ورق وشعارات رنانة مهملة.

والطاغية حافظ الأسد منذ اغتصابه السّلطة أسّسَ الدولةَ على مبدأ طائفي حيث احتلّ حزبُ البعث وصفّى جميعَ رجالاته وعيّنَ بدلاً منهم فئةً من المنافقين والآبقين، وجعلهم محطّ ثقته, وكذلك احتلّ الجيش وبناه على أساس طائفي ومذهبي لضمان ولائه له وليس للوطن وأقام عشرات الفروع الأمنية لمراقبة المواطنين وكمّ أفواههم ومصادرة الحريّات العامة.

وصادرَ حريةَ التعبير والرأي والصحافة وجعل جميع مؤسسات الدولة والنقابات المهنية والحرة مرتبطة بحزب البعث، وأنشأ مئات المعتقلات والأقبية لاعتقال المواطنين وتعذيبهم في حال تفوّهَ أحدُهم بكلمةٍ عن النظام، وزرعَ المخبرين في كل شارع وقرية ومدينة, وأصبح هو رئيس السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ضارباً بعرض الحائط جميع نصوص الدستور.

وسار على نهجه الطاغية الابن بشار وتفوّقَ عليه بالقمع والإجرام تجاه الشعب السوري. كل هذا الاحتقان والقمع أدّى إلى اندلاع ثورة الحرية والكرامة للشعب السوري للمطالبة بحقوقه المشروعة. وذلك بتاريخ 15/3/2011 حيث أطلق بشار جيشه الخائن وسلّط فروعه الأمنية الطائفية وشبيحته القذرين على المواطنين العزّل واستخدم جميعَ أنواع الأسلحة من الكلاشينكوف والرشّاشات والمدافع والدبابات والطائرات وصواريخ سكود وأسلحة الدمار الشامل وأخيراً وليس آخراً الأسلحة الكيماوية أملاً في إخماد الثورة، لكنّ ثورتنا مستمرة بفضل المظاهرات السلمية وتضحيات الجيش الحر البطل حتى انتزاع حقوق الشعب السوري من المحتل الأسدي.

# جسـد المـرأة سـاحـة حـرب

عزّت القمحاوي - مصر

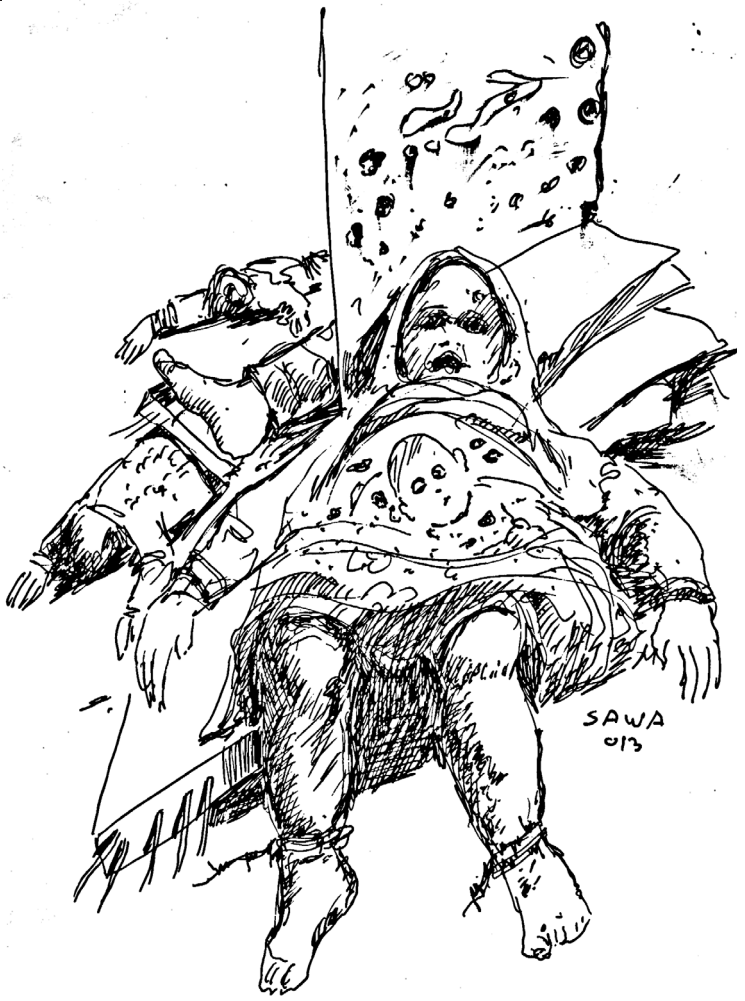


يبدو أنَّ مَقولةَ ابنِ عربي "المكانُ الّذي لا يؤنّث لا يعول عليه، تنسحبُ على ميادين التّحرير العربية. وهذه الحقيقةُ تعرفُها السّلطةُ بأكثرَ ممّا يعرفُها الثوّار، لذا فقدْ جعلت من جسدِ المرأةِ ساحةً لحربِها من أجلِ البقاء.

لم يفرّقِ المستبدّونَ بين الرّجل والمرأة في القتل. لم يرعوا حرمةً لحياةٍ أو حرمةً للجسدِ المنتفض أيّاً كانَ نوعه، لكنّهم خصّوا المرأةَ بتنكيلٍ من نوعٍ فريد، إذْ حوّلوها إلى ساحةِ حربٍ إضافية، حربٍ أيديولوجية تستهدفُ تشويهها والحطّ من مكانتها الاجتماعيّة.

المستبدُّ يقلّدُ ولا يبتكر. والحربُ الأيديولوجيّة تستندُ إلى تاريخٍ طويل من الاستخدام السياسيّ لجسدِ المرأة العربيّة بالذّات، حيثُ كان تزييفُ هذا الجسد وإضفاء الغرائبيّة عليه عبرَ اللّوحة والكلمة أحدَ أسوأ عملياتِ التزييف الاستشراقيّة.

في لوحاتِ ونصوصِ المستشرقين كانَ الجسدُ الأنثويّ العربيّ يتأرجحُ بين حدّين متناقضَين: العُري الكامل في الحمّامات العامّة وأسواق الرّقيق، والتّغليف الكامل بألفِ طبقة من الملابس وألف رتاجٍ على بابِ الحرملك المفعم بالأسرار.

وبينَ حدّي الكشف والإخفاء كان هذا الجسد الأنثوي المؤدلج أحدَ أهم المعابر الّتي مرّت من فوقها جيوشُ الغرب في القرنين الثّامنَ عشرَ والتاسعَ عشرَ لاحتلال الشرق من أجل تنويره.

هذهِ الأرضيّةُ الّتي تقدّمُ العربَ ولِنقْلِ المسلمينَ بوصفهم أمّةً مشوّشة، هي نفسها التي استخدمها اليمين الأمريكيّ عندما قرّر اختراعَ العدوّ الإسلاميّ بديلاً للعدو الشيوعيّ المتهاوي عام 1989، وهي نفسها حججُ إدارةِ بوش لاحتلالِ العراق.

ومن يتذكّرُ تلك الأيام سيرى كيفَ كانتْ قناةُ (سي إن إن) تركّزُ على كوماتِ النّساء المتشحاتِ بالسّواد في بغدادَ، بينما كانت التقاريرُ الحقوقيّة تتحدّث عن تعرية النّساء واغتصابهنّ أحياناً عند الاستجواب.

ولم يخرج الطّغاةُ عن تناقضِ الكشف والإخفاء عند التّعامل مع جسد المرأة أثناء الثورات، لكنّهم وجّهوا صورةَ المرأة المتشحة للتّسويق في الغرب، بينما حاولوا ترويجَ صورةِ العارية المرأة المتهتكة لدى مجتمعاتهم المحافظة!

"إنها ثوراتٌ إسلاميّة ولن تكونَ مصالحكُم مضمونةً بعد سُقوطي" استراتيجيّة استخدمها زينُ العابدين. ومن دون ابتكارٍ أو تجديد استخدمها من بعده مبارك وصالح والقذافي وبشّار. كلُّهم قالوا إنَّ تنظيمَ القاعدة وراءَ ما يحدث ببلادهم، وراحت كاميراتُ النّظام تبحثُ عن صورِ المنقّبات في الميادين، لكنَّ سلاحَهم انكشف سريعاً، مثلما انكشف سلاح العري أو التعرية بمعنىً أدق.

لم يكونوا محظوظين في الحالتين؛ فصورةُ المجتمع العربي لم تعد تذهب إلى الغرب عبرَ رسومِ وكتاباتِ عددٍ قليل من الفنّانين والكتّاب المغامرين أو المحمولين بين جنودِ الغزو، كما حدث أثناء حملة نابليون، بل صارَ هناك البثُّ الحيّ من الشوارع وساحات الحريّة. وفي الوقت نفسه لم تعد السّلطةُ مهيمنةً على كل رسائلِ الداخل؛ فهناك الفضائيّات الأخرى والإعلام البديل عبرَ الإنترنت، وهناك العددُ الكبير من المشاركين في الثّورة الّذين شهدوا بأنفسهم على كذب ادّعاءات الطّغاة وخدمهم الإعلامي.

صورةُ فتاةٍ سمراءَ ذاتِ رداءٍ أحمرَ محمولةٍ على أعناقِ رفاقِها الشّباب تهتفُ للحريّة أسقطت ادّعاءات زينِ العابدين بن علي، وكان انهيارُه السّريع وخروجه الأقلّ خسّةً من باقي السّاقطين حتّى اليوم، ذلك لأنَّ زينَ العابدين وإنْ تطابقَ نظامُه مع كلِّ الأنظمةِ الأخرى في الكثير من المخازي فإنَّه كانَ مخلصاً لعلمانيته الاجتماعيّة ولم يلجأ إلى التّشويهِ الأخلاقيّ للمرأةِ الّذي لجأت إليه بقيّةُ الأنظمة، بتفوّق منقطع النظير للقذافي الذي بلغ الحدودَ القصوى في التّمثيل بجسد المرأة سلماً وحرباً.

عندما أرادَ القذافي أنْ يمدَّ ثورته إلى الأبد عمدَ إلى تأنيثها من خلالِ الحرسِ الأنثوي الّذي لم يدخل في تجربة دفاعٍ حقيقية عن العقيد. لكنَّ وجودَ بينَ مئتين وثلاثمئةِ امرأة قويّةً خلف العقيد

## في مصرَ تلازمت محاولاتُ بثّ الرُّعب من الغول الإسلامي مع التّشويه الأخلاقيّ للثوّار

أعاد التّذكير بالخيال الجنسيّ حول المحاربات الأمازونيات اللّاتي أبدعتِ السّينما الهوليوودية في تقديمه.
حارساتُ القذافي المجهولات ظللْنَ مركزاً للاستيهام الخياليّ والتصورات حول علاقتهنَّ بالعقيد، وكما لو كان يستخدمهن كفقرة في سيرك اختفين تماماً أثناء الثورة عليه، وظهر حوله الرّجالُ، بينما أصبحَ جسدُ المرأة الضدّ مباحاً للاغتصاب ومصدراً للتشوّش ممثلاً في (إيمان العبيدي) التي ظلّت قصّتها لغزاً حتى اليوم.
في مصرَ تلازمت محاولاتُ بثّ الرُّعب من الغول الإسلامي مع التّشويه الأخلاقيّ للثوّار. كانتْ كاميراتُ القنوات الحكومية والقنوات العربيّة المساندة للنظام توزِّعُ وقتَها بين الزّوايا الخالية وتجمُّعات المحجّبات والمنقّبات. وفي الوقت نفسه تستضيفُ تلك القنوات فنانينَ ونجومَ كرةِ قدمٍ مقرّبين من النّظام يتحدّثون عن حفلاتِ جنسٍ وتحشيش جماعيّة تجري ليلاً في خيامِ ميدان التّحرير. هذا الزّعم، وإنِ استهدفَ ذكورَ وإناثَ الثّورةِ إلّا أنّه لن يصيبَ إلا النساءَ خاصّة؛ فالعبثُ الجنسيّ في المجتمعات العربية سببٌ لفخرِ الرّجل لا إدانته. وهكذا تضافرت محاولةُ الضّغط على الأُسَرِ المصريّة لحبس بناتِها وإفقاد الثّورة نصفَها الحلو المعوَّل عليه مع الرّسائل الموجهة بإلحاح يضفي الوجه الديني على الثورة.
كانت المحجبات المسيسات وغير المسيسات جزءاً عزيزاً من مكوّنات الثورة المصرية، لكنَّ الزّوايا الأخرى من الصّورة كانت

تعجُّ بحضورِ السّوافرِ من الكاتباتِ والفنّانات وأعداد كبيرة من الشّابات، وكان من الصّعب إخفاءُ كلِّ هذا مثلما كشفَ حضور الملايين على قناة الجزيرة زيف الرّبع الخالي من الميدان.
التّشويه التّافه ذاته نالته المرأةُ اليمنية ومعها السّورية على ما بينهما من اختلافات. كان سفورُ السورية علنيّاً، وتعرّضت لصفاقاتٍ أخلاقيّة من نظامٍ لم يخلصْ لعلمانيته الشّكلانيّة كما أخلص النّظام التونسيّ. إذا قالت ثائرةٌ عن بناتِ جنسها أنهنّ يتلقين الرّصاص بصدورٍ عارية دارت الغمزات التافهة حول عري الصدور، كما وجدت فناناتٌ وكاتبات أنفسهنّ بطلاتٍ لمغامرات جنسية متخيّلة.
مغامرات السوريات . في ادّعاءات النّظام وأبواقه . فرديّة؛ لأنّ الثورة السورية تجري من شارع إلى شارع لتتفادى جنازير الدّبابات، لكنّ الثورةَ اليمنيّة مقيمةٌ في الميادين مثل نظيرتها المصرية وتليق بالمقيمين والمقيمات حفلات الجنس الجماعي.
وجاء حصول اليمنية توكل كرمان على جائزة نوبل السّلام التفاتة من لجنة الجائزة العريقة إلى الحضور الأنثوي في الثورات العربية. وكرمان ليست سوى شابّة عربيّة ساهمت في صنع الربيع العربي، يقلُّ عطاؤها أو يزيد عن غيرها من نساء أخريات في تونس ومصر وسورية، خصوصاً سورية الّتي قدمت عدداً من الشهيدات أكبر من أيّة ثورة أخرى، لكنّ الجوائزَ تريد اسماً مفرداً في النهاية ولا تذهب إلى الجموع المجهولة إلا رمزاً من خلال التجسد في الاسم المختار.
قبل أنْ تتقاسمَ كرمان الجائزةَ مع رئيسة ليبيريا إيلين جونسون سيرليف ومواطنتها داعية السّلام ليما غبوي، كانتِ المرأةُ اليمنية قد كسبتِ احترامَ العالم وحقّقت نجاحاً مذهلاً في ضرب القاعدة الاستشراقية من أساسها بعد أن عاشت أكثرَ من ثلاثة قرون.
المسيراتُ السّوداء لمبرقعات اليمن الثائرات تشبهُ حضور مبرقعات مصر في ثورة 1919، صورة تؤكّد أنَّ اللباسَ مجرّدُ عادةٍ اجتماعية، وأن الرأس المغطّى ليس أقلَّ ذكاءً من الرأس السّافر والجسد الأنثوي المغطّى في حشد متجانس ليس أقلَّ توقاً إلى الحريّة من الجسد الأنثوي المنطلق في الحشد المختلط.
ولكنَّ الأنظمةَ البليدة لم تعِ النّصرَ الّذي حقّقه جسدُ المرأة في معركة الحريّة، ولم تزل تستهدفها بشراسةٍ بلغت حدَّها الأقصى في سورية بعد ليبيا بالطّبع.
النّظام السّوريّ يعرفُ أنَّ عاصمته تضمُّ قبرَ مولانا محي الدّين صاحب دعوة التيمن بالتأنيث: "المكان الذي لا يؤنّث لا يعوّل عليه" ولذلك فهو النّظام الوحيد الذي لم يكتف بإعلان الحرب على جسد الأنوثة الثّائر؛ بل سعى إلى وضع المرأة في مواجهةٍ مع المرأة، من خلال تأنيث سلطته لتدعيم صورته كنظام علمانيّ، يدافع عن بلاده ضدّ هجمات عصابات دينيّة مسلّحة.
ظلّتِ الأنثى تتصدّر الحديثَ باسم النظام، خصوصاً للإعلام الأجنبي، وبخلاف بثينة شعبان (الأنثى الضد الأشهر) كانت هناك متحدّثات أخريات مثل سميرة مسالمة رئيسة تحرير جريدة تشرين التي أبعدوها عن منصبها بعد ظهورين أو ثلاثة على الشاشة، حيث لم يغفروا لها دمعةً لمعت تحت كلماتها حزناً على شباب عائلتها وشباب محافظتها درعا.

# من حقوق الإنسان... حق الحياة

أحمد المعيدي

الحياة حقّ مقدّس، وهو من أهمّ حقوق الكائن الإنسانيّ،فالدّيانات السماويّة والفلسفات الوحدانيّة وجميع المواثيق الدّوليّة والحقوقيّة والقوانين الدستوريّة والعاديّة؛ قد نصّت على حماية هذا الحقّ، واعتبرت أنّ الحياةَ هبةٌ من الله، وأنّ الإنسان مجبولٌ بفطرته على الحفاظ والنضال والمثابرة من أجل المحافظة على حياته، فلا يجوز أن يُحرم منها أحد، ولا يجوز أن يتعرّض جسم الإنسان وهو الحامي والحاوي للحياة لأي انتهاك، أو إيلام أو تعذيب أو إفناء للجسم إذْ يُعدّ ذلك حرماناً من الحياة، أو تنقيص من قداستِها، لذلك يُحرَّم إزهاقُ الرّوح البشريّة والاعتداء عليها، وقد كانَ الاعتداء الأوّل على حقّ الحياة الإنسانيّة في تاريخ البشريّة هو ما حدث لابنَي آدمَ قابيلَ وهابيل، حيث قتلَ قابيلُ أخاه هابيل، وكان سبب ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى تقبّل القربان المقرّب من هابيل ولم يتقبّل قربانَ قابيل، وجاءَ في الآية الكريمة ((فطوّعت له نفسُه قتلَ أخيه فقتله فأصبحَ من الخاسرين)) المائدة 30 وقد حفظَ الله سبحانَه وتعالى كرامةَ الإنسان وقدسيّة الحياة ولو بعد فُقدانها، بأنْ علم قابيلُ كيف يواري سوْءَة أخيه، فأوجدَ له الغرابُ ليتعلّمَ منه كيف يواريه التّراب. قال تعالى: ((فبعثَ الله غراباً يبحثُ في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبحَ من النادمين)) المائدة 31، وقد تمَّ التأكيدُ على قيمة هذا الحقّ وعظم شأنه، من خلال ما جاء في الآية الكريمة: ((من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنّه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنّما قتلَ الناسَ جميعاً ومنْ أحياها فكأنّما أحيا الناسَ جميعاً.....)) المائدة 32 وقد عاقبَ الإسلام على جريمة القتل بالقتل، قال تعالى: ((يا أيّها الّذين آمنوا كُتِب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفي له من أخيه شيء فإتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)) البقرة 178 ((ولكم في القصاص حياةٌ يا أولي الألباب لعلكم تتقون)) البقرة 179 أي أنَّ في القصاص بقاءٌ عظيم للحياة وحتى لا يقدم أحدٌ على القتل مخافة أن يُقتل، وقد سُئل رسولُ الله (ص) عن الكبائر فقال: (الإشراك بالله.. وقتل النفس..) وقد ذهبَ رسول الله (ص) إلى أكثرَ من ذلك، حين حمى حياةَ الإنسان من نفسه وذلك بتحريم الانتحار فقال (ص): (من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنّم يتردّى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسّى سمّاً فقتل نفسه فسمُّه في يده يتحسّاه في نار جهنّم خالداً مخلّداً فيها أبداً ومن قتلَ نفسه بحديدةٍ فحديدتُه في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنّم خالداً مخلّداً فيها أبداً) صحيح البخاري (5442) كما حرّمَ الإسلام كلَّ عمل ينتقص من حقّ الحياة سواء كان هذا العمل تخويفاً أو إهانة أو ضرباً. فعن هشام بن حكيم قال: سمعت رسول الله (ص) يقول إن اللهَ سيعذّب الذين يعذّبون الناس في الدّنيا) مسلم وأبو داود وأحمد.

أمّا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصّادر في عام 1948 فقد جاء في مادته الثالثة ((لكلّ إنسان الحقُّ في الحياة وفي الحريّة الشخصيّة وفي الأمانة الشخصية)) وهذا تأكيد على حماية الحياة الخاصة للمواطن في هذا الميثاق وتأخذ هذه الحماية ،إلى جانب حماية الرّوح البشريّة والّتي هي الأساس، أشكالاً مختلفة بعدم التدخل في حياة المواطن مثل:

- حماية المسكن، والحفاظ على السريّة الطبيّة، والسريّة القانونيّة، وحماية صورة وهوية الأشخاص وحماية الخصوصيّة العاطفيّة، وخصوصيّة الاتّصالات، إلّا في الحالات التي يحددها القانون.

- وبما أنَّ الأمّة العربية هي جزء من هذا العالم، الذي أصبح شغله الشاغل هو حماية الإنسان وحقوق الإنسان!!! فإنّ عدداً من الخبراء والمفكرين والقانونيين قدِ اجتمعوا في مدينة سيراكوزا بإيطاليا، بدعوة من المعهد الدّولي للدّراسات العليا في العلوم الجنائية، وأعلنوا في هذا الاجتماع الميثاق العربي لحقوق الإنسان، وقد ورد في مواده في ما يتعلق بحق الحياة:

- المادة (2):

1- الحقّ في الحياة مضمون يحميه القانون.

2- لا توقع عقوبة الإعدام إلا على أشدّ الجرائم خطورةً، ولا يجوز أنْ يحكم بها في الجرائم السياسية ما لم تقترن بجريمة القتل أو الشّروع فيه.

3- لا يصدر الحكم بالإعدام إلّا من محكمة قضائيّة وللمحكوم عليه الطّعن أمام جهة قضائيّة أعلى، وله حقّ طلب العفو أو طلب إبدال العقوبة.

- لم تخلُ قوانينُ العقوبات في كثيرٍ من الدّول من عقوبات زاجرة ورادعة للاعتداء على حقّ الحياة، فقد جاء في قانون العقوبات العام السوري رقم 148 الصّادر في عام 1949، حيث وردَ في نصّ مواده 533 و534 و535 أنّ عقوبةَ القتل القصد تتراوح ما بين الحبس من خمس عشرة سنة إلى الحبس المؤبد تبعاً لجسامة الجرم وظروفه، وتصلُ العقوبة إلى الإعدام إذا كان القتل عمداً أو وقع على أحد أصول المجرم أو فروعه.

- تلك هي من أهمّ العقوبات والتّوصيات الّتي وردت في الشّرائع السماويّة والقوانين الوضعيّة ومواثيق حقوق الإنسان والتي من شأنها أن تحدَّ من الاعتداء على حقّ الحياة المقدّس للكائن الإنسانيّ سواء كان الاعتداء من قبل السلطات أم المجموعات حتّى من قبل الإنسان ذاتِه، وما أحوجنا الآن نحن في سورية وفي خضمّ ما يحدث من انتهاكاتٍ صارخة وواضحة لحقوق الإنسان بشكل عامّ وخصوصاً حقّه في الحياة، ما أحوجنا للعمل والأخذ بهذه النّواهي والتّوصيات للحفاظ على هذا الحقّ وعدم النّيل منه إلا بالحقّ، والذي كفلته جميعُ القوانين والتّشريعات وعلى رأسها القرآن الكريم ، فهل مِن مجيب؟!

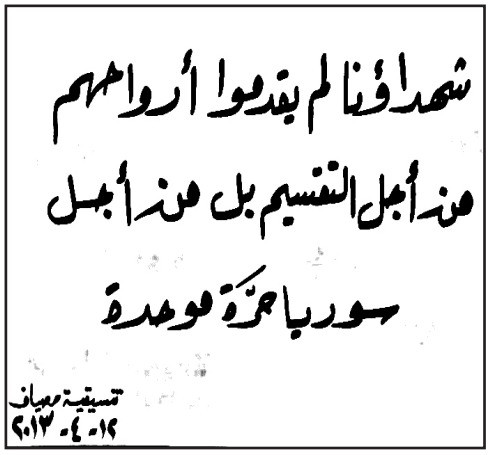

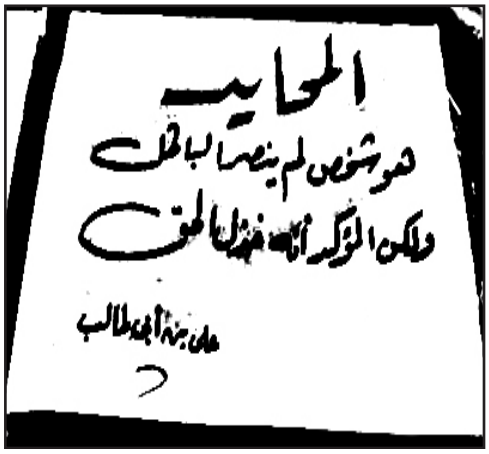

## منـــــازل الفيسبـــــوك

**جمال الكياص**
النظام كان يسرق من مخصصات الدولة...
أنتم سرقتم الدولة. النظام كان يستشير أهل المدينة ويحترمهم ويقدرهم ويستمع لهم.. أنتم اعتقلتم أهلها.. النظام كان له اسم وعنوان ومكان.. نحن لا نعرف عنكم أي شيء منذ دخولكم للمدينة وللآن.. النظام كان يذل الشعب برغيف الخبز أنتم أخذتم الخبز كله.. كيف سنتعامل مع بعض؟ من يحكمنا؟ من بيده القرار والحل؟ لا أحد يعرف، وصدى كلمات الفاروق تعشش بالوجدان والجباه وقهر الرجال: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

**يوسف عبدلكي**:
قبض الجلادون على الرجال، وقبضوا على النساء، وقبضوا على الأطفال، وقبضوا على جياد السهول وطيور الجبال، وتنبه الجلادون فجأة إلى أن قوس قزح لا يزال طليقاً حراً، فبادروا إلى القبض عليه، وتحولت البلاد مقبرة وسجنا.

**الثورة السورية**:
الكتائب الصادقة لا تقضي وقتها في المناطق المحررة بجانب المغانم، وإنما تنطلق إلى الصفوف الأولى لقتال العدو، ومن لم يعرف طريقه إلى هناك، فلنا أن نضع ألف علامة استفهام على أعماله وأهدافه!

**شكون؟؟**
أثبتت الدراسات أن درجة الحرارة على كوكب دير الزور العزيزة تكاد تصل إلى سبعتالاف وخمسمية درجة مئوية... هذا ما جعل الديريين يركبون الطبخة بالقدرية ويحطونها عالسطوح وقبل الوذان تكون جاهزة.
لكم منى أحر التهاني والتحيات وعالسطوح جزوة.. عداااي

**عبد العزيز عباس**:
عاشت الرقة طول عمرها مهمشة..... اليوم صارت 3 دول تتنافس عليها، كردية وأسدية وداعشية..

**يحيى برجس**:
لماذا يحاول البعض أن يزيد الهوّة بين من يُسمّون أنفسهم إسلاميين وبين من يُسمّون أنفسهم علمانيين؟! ألسنا كلنا سوريين؟! أم أن البعض يمتلك حق إسقاط الهوية والجنسية عن من يريد؟! مأساتنا هي في التطرف سواء كان في صف الإسلاميين أو في صف العلمانيين.. حينما ندرك أن ما يجمعنا هو أكبر بكثير مما يفرقنا ستنتهي كل مشاكلنا، وحينما تكون مصلحة الوطن فوق كل اعتبار ستسقط كل بذور الخلافات والتشتت الذي يعترينا.

**طريف الخياط**:
أما عن الكرد، فهم سوريون كما أحب أن أعرفهم. كما أنهم أحرار بما يعرفون به أنفسهم، ومن حقهم إن أرادوا تقرير مصيرهم باستفتاء ديمقراطي، وليس بفرض إرادة حزب الاتحاد الديمقراطي، بحكم الأمر الواقع وسطوة سلاحه حتى على الكرد أنفسهم، وبتجاهل لإرادة قواهم السياسية الأخرى.
يجب التمييز بين المشاعر القومية لدى الكرد، وبين جملة من الأطراف تحاول التلاعب بها بما يضر الكرد أنفسهم، فليست أصابع الأسد وإيران وتركيا خافية بما يحدث برأس العين، ولكل وكلاؤه ومأجوروه.

**د. أغيد بيريص**:
اللهم إني صائم.... اليوم على أحد حواجز دمشق أوقفني العسكري وهو يشرب الماء البارد.. نظر إلي وقال: صايم؟ أجبته نعم والحمد لله.. قال لي: أنا لا أصوم لأني في جهاد وفي الجهاد يحق للمسلم أن يفطر.. وتابع: الرئيس الراحل الله يرحمه حافظ الأسد أفطر في حرب تشرين التحريرية..

## الاستبـــداد هـــو الكفـــر

إبراهيم العلوش

ليستِ الحرية ولا الديمقراطية هي الكفرُ.. وإنّما الاستبداد هو الكفر!!

لقد ثار الشّعبُ السوري من أجل الحريّة والكرامة وليسَ من أجل أنْ يستبدلَ ظالماً بظالم آخرَ.. ولا من أجلِ أن تُلغَى هيمنةُ البعث على الدّولة والمجتمع لتأتي فئةٌ أخرى تحلّ محلّ البعث بحُجّة أنّها على حقٍّ ولا يأتيها الباطلُ لا من فوقها ولا من تحتها..

كانَ البعثُ يعتبر الشّعب خائناً ما لم يخضعْ لمخابراته وما لم يصفّق لطواغيته.. اليومَ تنتشر تهمةُ التكفير لكلّ من يفسّرِ الدينَ على غير ما تفهمه هذه الفئة أو تلك.. وطبعاً على الشّعب أن ينتظرَ إملاءات الأقوى والأكثرِ بطشاً من بين الباطشين، وليس الأكثر إقناعاً ولا الأكثر حكمة ومحبّة وتسامحاً..

الشّعب السوري ضحّى بدماء أبنائه من أجل الحريّة والديمقراطية، وليس من أجل بناءِ دولة ولايةِ الفقيه على شاكلةِ الدولة المجوسيّة التي تحتكرُ فهمَ الدّين والدنيا لصالح ثُلّةٍ مستبدّة لا يهمُّها غيرُ الاستمتاع بإذلالِ الناس وإخضاعهم وإعادتهم إلى القرون السّالفة، كأنّها تقاوم خلقَ الله عز وجل وتقاوم سنّة الوجود بمحاولة إيقاف الزمن بانتزاع نبض الحياة منه وانتزاع الإبداع المتغيّر كلّ يوم وكلّ ساعة وكلّ ثانية من خلق الله ومنع تجليّات عظمته!!

أليس العلامةُ ابنُ خلدون هو من وضعَ أسسَ علم الاجتماع، الّذي أخذه الغرب عنّا ليطوّره في دراسة العادات والطّبائع الاجتماعية والإنسانية والسياسية، لينتجَ علم الإدارة وعلوم السياسة الحديثة التي أنتجت أسسَ الحرية السياسية والديمقراطية التي ساهم الإسلام بتأسيسها اعتباراً من إطلاق مفهوم الشّورى ومروراً بنظريّات ابن خلدون وغيره من علماء المسلمين، التي أذهلت الغرب في زمانهم!!

لماذا يعادي البعض العلومَ الغربية ويصفُها جميعاً بالكفر لمجرّد نسبتها للغرب؟!! ناسياً أنَّ هذا المنتج الإنسانيّ أو العلمي أو التقني هو إنتاج سلسلة طويلة من التطورات التي تتالت عليه، وساهمت بلادُنا عبرَ تاريخها المجيد بجزء من عملية التطوير الطويلة!!

لماذا نخاف من الحريّة والديمقراطيّة، ونصفُها بالكفر بدلاً من أن نصفَ الظلم والاستبداد بالكفر.. ثمّةَ من يخاف الحرية، وثمّة من يرفض أن تكونَ الحرية جزءاً من حياتنا... طبعاً لأنّه لا يريد للشعب أن يعيش حراً، وما دخوله الثورة إلا ليكون هو الظالم بدلاً من الظالم المهيمن على الناس!!

ولكنّنا نقول لهم ولكلّ من يتمنّى الظلم أو يبرّر الظلم.. هيهات ثم هيهات أن يقبل الشعب السوري بالظلم بعد اليوم، مهما كانت الأسباب ومهما كانت المبررات.. وسيقوم الشعب عليهم ذات يوم قريب، كما قام على ظالمي النظام الذين لم يجدوا من يسقيهم كأس ماء بارد.. في هذه المدينة التي كانوا يتفاخرون دائماً بأنّهم دجّنوها وزرعوا مخبريهم في كل زواياها.. ولم تنفعهم كثرة منافقيهم ومتملّقيهم.. فتراكضوا هاربين أذلاّء، لأنّهم لم يحترموا كرامة الناس، ولم يحترموا حريتهم.. فهل هناك من يتّعظ؟!

## منازل الغياب

## الشهيد علي البابنسي

يوم الجمعة السادس عشر من آذار عام 2012 كان يوماً استثنائياً في حياة أهل الرقة، فقد خرجوا في تشييع الشهيد البطل علي البابنسي في موكب مهيب لم تشهد مثله الرقة من قبل. تجاوز عدد المشيعين المئتي ألف، اكتظت بهم شوارع المدينة، وصولاً إلى مقبرة تل البيعة، وفي طريق عودتهم جابهوا رجال الأمن بصدورهم العارية حيث سقط حوالي عشرين شهيداً.

علي البابنسي أيقونة الرقة بحق لأنه أول شهيد ارتقى إلى عليين في مظاهرة مساء يوم الخميس 2012/3/15 في الذكرى السنوية الأولى لثورة الحرية والكرامة، وكما ارتقى علي، نال شقيقه كمال شرف الشهادة عندما ارتقى هو الآخر بتاريخ 2013/3/6 في معركة تحرير الأمن العسكري آخر معاقل النظام في مدينة الرقة.

ولد الشهيد البطل علي البابنسي في مدينة الرقة عام 1995 والشهيد البطل كمال البابنسي من مواليد الرقة عام 1981.


منازل

لكي يا منازل فر القلوب منازل

أسرة التحرير: ابراهيم العلوش - ماجد رشيد العويد - يوسف دعيس

الإشراف الفني: مصطفى سليمان - ياسر أبو عمار - التدقيق اللغوي: مصطفى أبو عمر

البريد الإلكتروني: manazel2013@gmail.com (المراسلات باسم أسرة التحرير)



الآراء الواردة تعبر عن آراء كتابها وليس بالضرورة عن رأي الصحيفة